الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب المجلة
الدكتور أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي ، عابدين ، القاهرة

تليفون : ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـــدد ٥٧٧ — السنة الثانية عشرة

الاثنين ٢٧ من ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ١٦ من يناير سنة ١٩٥٠

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الدكتور النبراوى

الطبيب الخاص لمحمد على الكبير

بدأ حياته بائعاً للبطيخ

للدكتور جمال الدين الشيال

طفل من عشرات ، بل مئات الأطفال الذين تزخر بهم القرى المصرية . حيا كما يحيا الأطفال ، ومشى كما يمشى الأطفال ، ونما كما ينمو الأطفال ، بغذاء الشمس والهواء ، ثم الخبز والماء . وله أبوان فقيران يمتهنان الفلاحة شأن سكان القرى المصرية جميعاً . ولما بلغ الرابعة من عمره أرسله أبوه إلى الكتاب فتعلم مع أقرانه القراءة والكتابة وحفظ القرآن ؛ فلما اكتمل نموه واشتد عوده انضم إلى أبيه وأمه يعاونهما فى فلح قطعة من الأرض يزرعانها ويأكلان ويبيعان من ثمارها .

غير أن الصبى لم يكن خاملاً كأقرانه من الصبية الآخرين ، بل كان فيه نشاط دافق وحيوية . وانطلق فى أوقات فراغه يجرب حظه تاجراً ، يشترى بعض الحبوب من ذرة أو قمح ، وبعض الثمار من بلح أو بطيخ أو خيار ، ويبيع هذا كله فيصيب نصيباً من الربح الحلال . والأبوان يلاحظان هذا النجاح الذى أدركه ابنهما ، وهذا الربح الذى ناله فيشجعان ويباركان .

ومضت الأيام والحياة فى هذه الأسرة تجرى رتيبة كعادتها . وزرع الأبوان فى إحدى السنوات أرضهما بطيخاً ، وبارك الله جهودهما فأنبتت الأرض ثمراً وفيراً حلواً طيباً أكله ، ففرحت الأسرة بما أوتيت من خير ، وجلس أفرادها تحت ضوء القمر فى الليل يتشاورون — بعد أن جمعوا الثمار — فى خير طريقة لبيع هذا المحصول للحصول على أكبر ربح ممكن . وطال النقاش وكثرت الآراء : إنهم لو باعوه فى قريتهم ، لما جنوا من ورائه ربحاً يذكر ؛ فالأسعار فى القرية دائماً بخسة . وأبدى الوالد اقتراحاً أن يذهب الصبى بالمحصول إلى طنطا عاصمة المديرية ليبيعه هناك علّه يصيب ربحاً أوفر . غير أن الصبى كان أكثر طموحاً من أبيه فأبدى رغبته فى أن يذهب بالمحصول إلى العاصمة الكبرى — إلى القاهرة ؛ وأعجب الوالدان بالفكرة ، وشجعهما على قبولها ما آنساه ولمساه من نجاح فى صفقاته التجارية التى مارسها فى القرية . ونامت الأسرة ليلتها تلك والأمل الحلو يداعب خيال كل فرد من أفرادها .

وأذّن مؤذن الفجر وخرج الأب وابنه إلى مسجد القرية فصليا ودعوا الله مخلصين أن يبارك لهما تجارتهما ، وعادا فحملا الجمال بالثمار وشاركهما فى ذلك الأم والصبية الصغار ؛ فلما انتهوا جميعاً من عملهم قبّلت الأم فلذتها وبارك الأب ودعا له بالنجاح ، وهلل الصبية الصغار له مودعين .

وسار الفتى فى طريقه والجمال تتهادى من خلفه وئيدة فى سيرها ، واستهوته مناظر القرى والمدن التى يمر بها ؛ فهذه أول رحلة له خارج قريته فانطلق يغنى مسروراً . وانتهى به السير إلى القاهرة ، وقصد إلى حى الحسين والأزهر كما أوصاه أبوه ، فهو حى عامر بالسكان ، وبضاعته فيه لا شك رائجة .

واتخذ الفتى ركناً من أركان السوق ورص بطيخاته أمامه ، وراح يعلن عنها فى صوت حلو رخيم وبكلمات مليحة منغمة ، وأقبل مشترٍ وثانٍ وثالث ، غير أن السعر الذى عرضوه كان أقل مما أمّل الفتى وما أمّل أبوه ، فرفض أن يبيع ، وظل على رفضه حتى انتصف النهار أو كاد ؛ وظن الفتى أول أمره أن البائعين ربما لاحظوا عليه سمات الفلاحين الغرباء ، فأرادوا أن يبخسوا بضاعته . فانتقل إلى جاره الذى عن يمينه ، وإلى جاره الذى عن يساره ، وسألهما عن الأسعار ، فإذا هى أسعار قليلة متدنية ، فصدمته الحقيقة وزال عنه سروره وانشراحه .

هكذا قضى إبراهيم — وكان هذا أمره — اليوم الأول في القاهرة ؛ فلما أقبل الليل أخذ يفكر وينعم التفكير ، ويدبر ويجيد التدبير ، وانتهى به الرأى أخيراً إلى أنه لا بد من بيع محصوله ولو كان في البيع خسارة ، لأنه لو لم يبع لفسدت عليه ثماره ولكانت الخسارة أفدح .

وباع إبراهيم بطيخاته ، وكانت الخسارة فادحة ، فخشى أن يعود إلى قريته فيناله الأذى من أبيه ، وجلس إلى الركن الذى كان عامراً منذ قليل ببطيخاته ، يل بآماله وآمال الأسرة المفقود ، وراح ينظر إلى المارة من أهالى الحى وهو يلعنهم ويلعن يأسه في نفسه . وجذب انتباهه منظر غريب طريف ، لقد نظر فرأى شيخاً كبيراً ذا لحية طويلة بيضاء ، بيده كتاب وبيده الأخرى سبحة يرسل حباتها الواحدة بعد الأخرى ، وعن يمين الشيخ وعن شماله ومن ورائه عدد كبير من الفتية المعممين ، والشيخ يسير في تؤدة ووقار ، والفتيان يتبعونه في أدب جم واحترام تام ، وتتبع إبراهيم هذا المنظر بناظريه ، واستعاد في الحال صورة شيخ القرية وكتابها وأولاده من الصبية الصغار .

وانتهى السير بالشيخ وتلاميذه إلى باب المسجد فدخلوه ، ومال إبراهيم إلى جاره وسأله عمن يكون الشيخ وعما يكون المسجد ، وعلم أن هذا المسجد هو الأزهر ، وأن هذا أحد شيوخه ، فهزته الصورة ، واستهواه وقار الشيخ الأستاذ وزى الفتية التلاميذ ، ولمعت الفكرة في خياله لمعان البرق ، وانتفض واقفاً وأخذ طريقه إلى المسجد ، ودخل مع الداخلين ، وراعته كثرة حلقات الدرس ، فانضم إلى إحداها ، واستمع ثم استمع ، ثم انتقل إلى غيرها وغيرها ؛ ولم يكد ينتهى اليوم حتى كان قد قر عزمه أن يصبح أزهرياً يطلب العلم كما يطلبه مئات غيره من المكبين على الكتب حوله ، وسيؤهله هذا إلى أن يكون شيخاً للقرية ، يقبل الجميع يده ، ويسعون إلى رضائه ، أو على الأقل في هذا حل مؤقت لمشكلته ومشكلة تجارته الخاسرة .

ونبغ إبراهيم ونال الكثير من تقدير شيوخه وأساتذته ؛ فقد كان يحق موفور الذكاء . ورضى بهذه الحياة الجديدة التي حملت عنه عبء التفكير في المأوى والغذاء ؛ فالرواق فيه مأواه والجراية فيها غذاؤه .

ومضت الأيام يتابع بعضها بعضاً وإبراهيم مطمئن إلى حياته الجديدة ، منصرف إلى دروسه وكتبه ، إلى أن كان أحد الأيام حين أرسل إليه شيخه يستدعيه ، فهرول مسرعاً ، ولكنه لم يكد يقبل عليه حتى وجد في حضرته جماعة من الناس لا يعرفهم ، فيهم من يرتدى زى أصحاب الجيش ، ومنهم من يرتدى زى الشيوخ ، وتقدم فقبل يد أستاذه ، وأقبل عليه الأستاذ مرحباً ، ثم قدمه لهؤلاء الضيوف تقدمة كلها ثناء على كفايته وتقريظ لمواهبه ، وفهم إبراهيم من الحديث أن هؤلاء السادة قدموا ليختاروا نخبة من نوابغ الطلاب ليكونوا نواة أولى لمدرسة الطب التي زمع إنشاءها والى النعم محمد على باشا .

وهكذا انتقل به القدر نقلة جديدة من طالب بالأزهر زمع أن يكون شيخاً صاحب كتاب في القرية إلى تلميذ بمدرسة الطب الجديدة حيث يدرس علوماً جديدة لم يسمع بها من قبل ، من كيمياء وطبيعة وتشريح ودراسة للأمراض والأدواء ، ويستمع فيها إلى أساتذة ليسوا من دينه ولا من جنسه ، فهو لا يعرف لغتهم ، وهم لا يعرفون لغته ، إنهم أساتذة من أوربا وخاصة من فرنسا .

ونبغ إبراهيم النبراوى — نسبة إلى بلده نبروه — في مدرسة الطب كما نبغ في الأزهر من قبل ، وقضى سنوات الدراسة جميعاً بنجاح وتفوق .

ولما تخرجت الدفعة الأولى من طلاب هذه المدرسة أراد محمد على أن يبعث بالناجين إلى فرنسا ليتموا هناك علومهم ، ووكل إلى ناظر المدرسة كلوت بك أمر اختيار المبعوثين ، فكان إبراهيم واحداً منهم .

وسافر إبراهيم النبراوى إلى فرنسا في سنة ١٨٣٢ ، فرأى دنيا غير التي كان يراها في مصر ، الرجال غير الرجال ، والنساء غير النساء ، والأخلاق والعادات والمدن والقرى والمدارس وطرق التعليم والتفكير .. الخ ، كل أولئك يختلف في باريس عنه في القاهرة وعنه في قريته المتواضعة « نبروه » .

وكان إبراهيم في عنفوان شبابه ، فخفق قلبه لحب باريس كما يخفق قلوب الشبان ، وأحب باريسية وتزوج منها ، ولم يلهه هذا عن واجبه ، بل أقبل على دروسه إقبال النهم ،

وصل إلى إيطاليا بنجاح وعاد إلى مصر في سنة ١٨٣٩ صحبة زوجته الفرنسية .

وعين إبراهيم النبراوي بعد عودته مدرساً بمدرسة الطب المصرية ؛ فقد كان محمد علي يهدف من وراء هذه البعثات إلى إحلال المصريين محل الأجانب .

ونجح إبراهيم طبيباً ومدرساً كما نجح مبتدئاً ، وأظهر مهارة فائقة في فنه ، فقصده المرضى من كل فج ، وأقبلت الدنيا عليه إقبالاً .

ولم يشغل إبراهيم النبراوي نجاحه كله عن المشاركة في النشاط العلمي لمدرسته ؛ فترجم ثلاث رسائل طبية لأستاذه كلوت بك من الفرنسية إلى العربية ، وطبعت هذه الرسائل في بولاق سنة ١٢٥٣ هـ ، ثم ترجم كتاباً فرنسياً آخر عنوانه «الأربطة الجراحية» طبع في بولاق أيضاً سنة ١٢٥٤ .

وذاع صيت النبراوي وبلغت أخباره الوالي المصلح محمد علي ، فاختاره طبيباً خاصاً له ، وقربه إليه وأغدق عليه النعم ، وظل طبيبه الخاص إلى آخر حياته ؛ وعندما مرض محمد علي مرضه الأخير وسافر إلى أوربا للاستشفاء صحبه النبراوي في رحلته طبيباً معالجاً .

يقول علي مبارك باشا في ترجمته له «... ولنجابته وحسن درايته في فنه اختاره العزيز محمد علي باشا حكيمباشي لنفسه ، وقربه وخصصه به ، وبلغ رتبة أميرالاي ، وكثرت عليه إنعامات العزيز ، واشتهر ذكره ، وطلبه (الملكيات) والأمراء» .

وظل إبراهيم النبراوي وفياً لزوجته الفرنسية مخلصاً لها لم يتزوج غيرها إلى أن أدركتها الوفاة في مصر ، فأنعمت عليه والدة عباس باشا الأول بفتاة بدوية فتزوج منها .

وفي غضون تلك السنين استقال كلوت بك من نظارة مدرسة الطب ، فخلفه طبيب فرنسي آخر هو الدكتور «برون» ، وفي سنة ١٨٤٦ استقال برون أيضاً ، فعين الدكتور إبراهيم النبراوي باشا وكيلاً لهذه المدرسة فكان أول مصري يلي هذا المنصب .

وظل النبراوي باشا يتمتع بمكانته الممتازة لدى الأسرة العلوية الكريمة حتى بعد وفاة العاهل العظيم محمد علي الكبير ، فقد اختاره عباس باشا الأول طبيباً خاصاً له بعد توليه العرش ، وظل لديه ولدى والدته الحظوة الكبرى ؛ فلما سافرت لأداء فريضة الحج استصحبته معها ليشرف على صحتها وعلى صحة من معها من الحجيج .

وقد نبغ من أولاده ولدان رزقهما من زوجته الفرنسية ، أحدهما يوسف باشا النبراوي ، تلقى علومه الأولى في مصر ، ثم أرسل في بعثة إلى فرنسا سنة ١٨٥٥ في عهد سعيد باشا للتخصص في الفنون والعلوم الحربية ، وعاد إلى مصر في سنة ١٨٦١ فعين ضابطاً بالجيش المصري ، غير أنه لم يمكث به إلا قليلاً ، ثم عاد إلى فرنسا فأقام بها طويلاً ، وتزوج هناك من سيدة فرنسية ، وكانت له جهود حميدة في إقناع أولي الأمر من الفرنسيين بالموافقة على إنشاء المحاكم المختلطة ، ثم استدعي إلى مصر بعد إنشاء هذه المحاكم وعين رئيساً لواحدة منها .

وكان خليل النبراوي ، تلقى علومه الأولى بمصر ، ثم [illegible] بمدرسة الطب المصرية ، وبعد إتمام الدراسات بها أرسل في بعثة طبية إلى ألمانيا وفرنسا ، وعاد إلى مصر في [illegible] وعين طبيباً بالمصلحة الطبية ، ومن نسل هذا [illegible] الأسرة الأدبية الصحفية سيزا نبراوي [illegible] .

هذه قصة فتى من قلب الريف المصري تنقل به القدر العجيب من بائع بطيخ فاشل إلى طالب في الأزهر ، وانتقلت به عناية منشئ مصر الحديثة إلى مدرسة الطب ، ثم إلى فرنسا حتى أصبح طبيباً ومدرساً ووكيلاً لمدرسة الطب وطبيباً خاصاً لعاهل مصر ، ولازمه التوفيق إلى أن حصل على أكبر لقب في وطنه وهو لقب «الباشوية» . وكم في عصر محمد علي من صور مشابهة لهذه ؛ فقد كان محمد علي حقاً ولياً للعلم وصانعاً للرجال .

وقارئ هذه الصورة لا بد سائل نفسه بعد ذلك : كم في قلب الريف المصري حتى اليوم من نبوغ دفين يحتاج إلى يد رحيمة كيد محمد علي للكشف عنه وتوجيهه للعمل لخير مصر ؟

الدكتور
جمال الدين الشيال

من آراء ت. س. إليت

للأستاذ محمود محمود

ت. س. إليت (T.S.Eliot) كاتب إنجليزي معاصر، له مذهب خاص في كتابة القصة، وله آراء طريفة في النقد الأدبي، ننقل بعضها هنا للقارئ العربي.

— ١ —

معنى الثقافة:

إن العقيدة لا تحتاج إلى التعريف إلا بعد أن تظهر فيها البدع والضلالات، وكذلك كلمة «الثقافة» أصبحت محتاجة إلى التعريف والتحديد بعد ما أسيء استعمالها حتى في أرقى الأوساط العلمية؛ فإني أعتقد أن منشئي (مؤسسة التربية والثقافة والعلوم لهيئة الأمم المتحدة) أنفسهم قد استخدموا لفظة «الثقافة» دون أن يتدبروا لها معنى.

تشمل الثقافة كل نواحي النشاط والاهتمام التي تميز شعباً من شعب: سباق الكلاب، ويوم دربي، وكأس النهائي، والألعاب للتسلية، والكرنب المسلوق، والبنجر بالخل، وكنائس القرن التاسع عشر القوطية، وموسيقى إلجار، وآداب المائدة، والعلم والأدب، والفلسفة والفن، وغير ذلك... يكوّن ثقافة الجماعة. ولا يمكن أن تظهر الثقافة أو تتطور إلا مع دين من الأديان.

وهكذا نرى أننا لا نستطيع أن نقول: هذا رجل مثقف، ولكنا نستطيع أن نقول إن مقومات الثقافة عند هذه الجماعة أو تلك هي هذا أو ذاك.

— ٢ —

تأثير الأدب:

إن كل ما يتناوله المرء من طعام يكون له عليه أثر آخر غير مجرد الاستمتاع بمذاقه ومضغه، إنه يؤثر في تكوينه الجثماني خلال هضمه وتمثيله.

ولكل ما نقرأ مثل هذا الأثر في نفوسنا وعقولنا. إن تأثير القراءة لا يقف عند حد الاستمتاع بالجمال والتذوق الأدبي، ولكنه يترك في الذهن أثراً بالغاً لا يمحى. فالأديب حينما يكتب يحاول أن يؤثر بآرائه في قرائه، قصد إلى ذلك أو لم يقصد؛ والقارئ حينما يطالع كتاباً من الكتب يتأثر بما يحوي الكتاب بقصد أو بغير قصد. وكل منا يذكر كيف كان كاتب من الكتاب أو شاعر من الشعراء يستولي على لبه في فترة من فترات حياته، ثم يتلوه كاتب آخر أو شاعر آخر، وهكذا، وعندئذ تتفاعل في الذهن هذه الآراء، ويبدأ العقل في الموازنة بين رأي ورأي، ويدرك أن لكل كاتب صفة لا تتوفر في الآخرين، وأسلوباً يميزه من غيره، فيصبح القارئ ناقداً من حيث لا يدري. وتنمو لديه قوة النقد تدريجاً حتى تحميه من طغيان شخصية أدبية واحدة على تفكيره وآرائه. فليس الناقد إذاً هو الرجل الذي يحترف التعليق على الكتب في الصحف والمجلات، وإنما هو القارئ الذي يضم إلى الإحساس الرقيق اطلاعاً واسعاً [illegible] ما أنتج الكتاب والأدباء من كتب. [illegible] الاطلاع الواسع في إكثار الآراء، أو تكديس المعرفة، أو حشو الذهن بمختلف الآراء، وإنما قيمته تنحصر في تمكين القارئ من التخلص من الخضوع لكاتب معين أو لعدد محدود من الكتاب. ينبغي أن تتفاعل الآراء المتباينة في أذهاننا، وأن يكون لكل منها مكانته في نفوسنا، ثم نعرض عليها شخصيتنا، ولا تفرض نفسها علينا فرضاً.

ولست أعتقد أن الشخصيات القصصية التي يرسمها الكاتب بقلمه، ويعطيها تقوم بما يتخيله من أعمال، ويُجري على ألسنتها ما يدور برأسه من أفكار وما يجيش في صدره من عواطف، تزيدنا مباشرة بالحياة علماً وتمدنا بها خبرة ومعرفة. إننا لا نعرف الحياة معرفة مباشرة إلا بما يتصل بنفوسنا اتصالاً مباشراً، كالأحياء من الأشخاص الذين نقابلهم وتقتضينا ظروف الحياة أن نتعامل معهم. ولا يفيد القارئ من القصص إلا أن يعرف آراء كاتبها. وليست الشخصيات القصصية كالشخصيات الحية بأي حال من الأحوال. والقارئ المبتدئ يأخذ من القصة الخطأ أكثر مما يأخذ

منها الصواب . فإذا ما تم نضجه العقلي لا ينظر إلى آراء الكتاب إلا باعتبارها وجهة نظره الخاصة ، التي قد تتفق ووجهته وقد لا تتفق . ولا يجد القارئ مما يشابهه إلا بعد أن يبلغ هذه المرحلة ، حينئذ يدرك أن في الحياة وجهات نظر متنوعة متعددة فيتسامح غير متعصب أو متحيز .

ومن ثم فإني أعتقد أننا لا نفيد من شكسبير ودانتي وجيته ومن إليهم أكثر مما نفيد مما نحبه لمجرد التسلية وقتل الفراغ ، بل إني لأميل إلى الاعتقاد بأن ما نقرأ لمجرد المتعة والتسلية أنفع لنا مما نقرأ مع بذل الجهد وتقديس الكاتبين ، لأننا في الحالة الأولى نقف موقف الناقد البصير ، وفي الحالة الأخرى نرفع الرأي إلى مكانة من التقديس قد لا يستحقها ، ونخضع له خضوع الأذلاء المترقبين .

— ٣ —

من حديث له مع مراسل صحيفة أدبية :

— ما السبب في غموض الشعر الحديث ، وهل لا بد من غموضه ؟

— الغموض طرق متعددة : فمنه ما يتكلفه الشاعر تكلفاً لكي يتظاهر بعمق التفكير ، وهو غموض لا يخدع إلا نفسه ! ومنه ما ينشأ من صعوبة التعبير عن عاطفة قوية يحسها الشاعر من غير تقليد أو رياء ، وهي صفة يتميز بها الشباب من الشعراء خاصة . وكلما حذق الشاعر فنه ازداد وضوحاً وقل غموضاً . ومن الأفكار ما هو غامض بطبعه ، ولا يمكن أن يعرضه الشاعر في جلاء ووضوح ، ومن الشعر ما تراه غامضاً لأن الشاعر يعرضه في صيغة لم يألفها القراء ، كما هو الشأن في الفن الحديث . ومن ألف التعبير بطريقة ما يشق عليه أن يدرك طريقة مبتكرة .

ثم إنك عندما تقرأ كتاباً من الكتب الأدبية الخالدة أو شعراً — مهما حاولت — أنك قد استوعبت كل ما يحتويه ، ومن ذا الذي يزعم أنه أدرك كل ما يرمي إليه أي كاتب من الكتب المقدسة ؟

— ألست تظن أن أخص صفات الشعر الجرس ووضوح الفكرة — أي سهولة انتقالها من ذهن الشاعر إلى ذهن القارئ ؟

— الجرس ميزة لا شك فيها ولا مراء ، أما وضوح الفكرة فقد لا يكون مما يهدف إليه الشاعر ، لأن المهم في الشعر هو انتقال الحالة الروحية من نفس الشاعر إلى نفس القارئ .

— قرأت كتابك الأخير عن « التقاليد » في شيء كثير من الدقة والاهتمام . ولست أشك في قيمة ما عرضته فيه من آراء ، غير أني ألفيت أجزاء منه في غموض لم أدرك له سبباً . فهل لي أن أسألك : لماذا لجأت في هذه الأجزاء إلى التعقيد اللفظي ؟

— إنما لجأت إلى ذلك لكي أتحاشى شدة التبسيط وشدة الوضوح . ولا تسألني عن غموض أفكاري ، فمن العسير علي أن أدرك إن كنت قد هضمت فكرتي تماماً أو لم أهضمها . وقد تتسم أفكاري بالتعقيد ، ولكني لم أفعل ذلك مهملاً أو عامداً .

— لماذا ترى أن الدين جزء لا يتجزأ من التفكير ؟

— أتسألني لماذا خلق الله الفيل أربع أرجل ؟ إن الدين عنصر من عناصر الحياة ، وفي ضوء الدين يفسر المرء أية مشكلة من المشاكل .

— وإذاً أنت ترى أن للهند فضلاً كبيراً على التفكير الإنساني ؟

— لقد هداني الشرق إلى فكرة لا تعطها أية فكرة أخرى .

— وما تلك ؟

— إن الإنسان بغير المعرفة الروحية كائن ناقص .

— هل ترى أن الشعر سوف يكون شعبياً في يوم من الأيام ؟ وإن كان كذلك ، فكيف السبيل ؟

— يتوقف الأمر على المستمعين — أي على الجماعة التي ينشد فيها الشاعر شعره . وليس من شأن الشاعر أن يشغل نفسه بطبقة القراء ، وينبغي ألا يعبأ بهم ، سواء لديه إن كانوا صفوة مختارة ، أو جمهوراً من السوقة . إنما يجب عليه أن يعبر عما يشعر بضرورة التعبير عنه ، وألا يفكر في شيء آخر بعد ذلك .

* * *

هذه شذرات من آراء ت. س. إليت ، الأديب الإنجليزي المعاصر ، أقدمها للقارئ العربي لتشهد فيه قوة الفكر وأصالة النقد .

محمود محمود

الكويت والحياة الاقتصادية

للأستاذ أحمد طه السنوسي

.. لو نظرنا إلى القطر الكويتي العربي لألفيناه قطراً تجارياً قبل كل شيء .. وذلك بحكم موقعه في رأس الخليج الفارسي .. فالكويت محور حركة الأسواق القائمة بين البلدان الواقعة على ذلك الخليج ، كما أنها تقع بين إيران والشرق الأقصى ، وبين نجد والعراق ، مما يبرر أنها قطر تجاري اكتسب التجارة وفنها بالفطرة والسليقة طبقاً لعوامل البيئة التي يحيا بين مؤثراتها .

والشخصية التجارية الكويتية شخصية بارزة بين تجار العالم ؛ ويعزى ذلك لدأبه وحيويته وجرأته في ظهر الفلك وسط العباب .. بين البحار والمحيطات .. ومنذ عهد قديم والعوبة صار الكويت أسطول تجاري شراعي كان الدعامة الأولى التي بنت عليه الكويت علاقاتها بالشرق الأوسط والشرق الأقصى ...

والسفينة الكويتية مثال في الدقة ، ويطلق عليها الانجليز اسم Dhow ويسميها أصحابها « بوم » ، ولقد زاد عدد السفن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى تقدر اليوم بنحو ثلاثة آلاف سفينة شراعية تربو حمولتها على مائة وعشرين ألف طن .. ولقد استطاعت تلك السفن أن تصل إلى جميع ثغور الهند الغربية كما وصلت إلى شرق أفريقيا ، وأندونيسيا وغيرها ...

وأستطيع أن أقول إن الكويت بلاد فقيرة إجمالاً من الناحية الزراعية ، وكل ذلك مرجعه إلى عدم توفر المياه اللازمة للزراعة .. اللهم إلا تلك الآبار التي تحت الجهرة وفيلكه والفنطاس حيث تزرع بعض الخضراوات وبعض الحبوب .. ويوجد هنالك النخيل بنسبة ضئيلة لحاجة السكان ، وهو الفاكهة الوحيدة التي توجد في الكويت ؛ كما أننا نرى ثمار (الكنار) التي تنتجها أشجار (السدر) وأشجاراً أخرى يؤخذ منها خشبها فقط لعدم إثمارها كالأثل وغيره .

وفي فصل الربيع تكثر الأزهار البديعة ، فتصير الكويت يانعة ، يعطر الجو بشذى ورودها .. وهي كثيرة منها : (الصبار) و (الأقحوان) و (النوير) .. و (الخزامى) و (الحميض) و (الجسوم) وهي من النباتات الذكية التي تنبتها الكويت ..

ومن الصوف والأسماك والجلد والسمورة وغيرها صادرات الكويت .. أما وارداتها فهي الأرز والشاي والفواكه والأدوات الكهربية والأطعمة والأدوية والسيارات والسجاير والبهارات والمنسوجات وغير ذلك .

وقد كان الاشتغال بالغوص على اللؤلؤ هو العمل الرئيسي للكويت ، وكانت تأتيها منه أرباح جمة ، بيد أن اليابان وجزرها قد طوحت بلؤلؤ الكويت ، فركدت فيها تجارته إلى حد كبير ...

.. ولقد بدت الثروة المعدنية في الكويت في عناصر ثلاثة ، هي النفط والكبريت والجص ، ولعل النفط هو أطيب هذه الثروات ، مما صار وسيصير له شأن عظيم في الكويت وفي الشرق العربي ؛ ولقد كشف إبان الحرب العالمية الثانية ، بيد أنه لم يستغل إلا بعد انتهائها تبعاً لظروفها ، وقامت شركة النفط البريطانية الإيرانية في (عبادان) بعد

أن اتفقت مع شركة البترول البريطانية الأمريكية للإشراف على نفط الكويت. وقد قامت الأبحاث الجيولوجية ورأى (المستر جلبر) — وهو عضو البعثة الفنية الأمريكية — أن نفط الكويت يقدر وجوده في نحو خمسمائة مليون برميلاً. وتملك شركة مباحث الكويت الأمريكية (شركة دارسي بالعقار) نصف امتيازات حقوق بترول الكويت، بعد أن حصلت على النصف الآخر شركة الزيت الكويتية التي مركزها مدينة (الأحمدي)، وفي مؤتلف صيف عام ١٩٤٦ سُهلت عمليات التخزين في الأحمدي إلى حد كبير، كما أنشئت الأنابيب من (البرقان) ونقطة التجميل والشحن في مدينة التجميل وهي تشارف الخليج الفارسي وتتصل بها خزانات النفط من الأحمدي. ويبلغ الإنتاج البترولي الآن في الكويت نحو مائة ألف برميل يومياً، وذلك الإنتاج قابل للزيادة في المستقبل، ويرى أن تتخذ الإجراءات لإنشاء شركة لتكرير النفط في الكويت.

أما الكبريت فقد استثمرته شركة أمريكية منذ عام ١٩٤٤. ونظراً لاشتغال الكويتيين بالتجارة البحرية فيما مضى قامت الصناعة على أساس التجارة، فقامت الصناعة بالتالي، وقد عُدت الكويت من أشهر الأقطار العالمية في بناء السفن الشراعية.. وتشبيهاً برسول بريطانيا أطلق الإنكليز لقب (رسول الخليج) على الكويت لحذقها في تلك الصناعة. وقد بنت عدة أنواع بحرية من تلك السفن، فهناك (السنبوك) و(البغلة) و(البوم) و(الجالبوت) و(السكيت) و(الشوعي) و(القطاع) و(الكلس) وغيرها.. وباحبذا لو قامت شركة مساهمة وطنية في الكويت تنظم حركة التجارة وتستبدل السفن الشراعية بمثيلاتها من البخارية، وقد يُجدي في هذا الاستبدال. وإلى جانب بناء السفن توجد صناعات صغيرة منها صناعة: (الحدادة) و(الصفارة) وهي صناعة القدور النحاسية، وصناعة لوازم السفن وغيرها.

وقامت في الكويت شركات مساهمة كثيرة.. ففي مؤتلف عام ١٣٥٥ هـ قامت شركة السيارات الكويتية العراقية بين البصرة والكويت، وكان رأس مالها مائة ألف روبية، وما زالت محتكرة إلى الآن. وقديماً أقيم معمل لتوليد الكهرباء، وقامت عليه شركة وطنية تكفل إدخال النور في بيتها، وكان رأس مالها أربعة آلاف روبية. وقامت (شركة المواصلات الكويتية) في غضون عام ١٩٤٦ واستطاعت أن تفتتح خطاً بين الكويت والرياض! وقامت من قديم الزمن شركة التنزيل ومهمتها أن تنزل البضائع من البواخر في الخليج الفارسي وهي راسية قاصية من شاطئ الكويت، ولها كثير من السفن الشراعية. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية قامت (شركة مصائد الأسماك) وهي تساعد سفن الصيد وتهتم بتصريف الأسماك، وأنشئت معها شركة تبريد الأسماك وكانت مهمتها أن تكافح ارتفاع الغلاء بعد ازدياد أثمان الأسماك وقت الحرب، وقد وفقت في سبيلها واستطاعت إدارة (الكويت)...

ولعل شركة الماء من أكبر الشركات في الكويت، فرأس مالها من أكبر رؤوس الأموال، وقد أنشأت هذه الشركة أسطولاً شراعياً يتكون من أربعين سفينة تقريباً استطاعت أن تمد إمارة الكويت بماء الشرب.. ومياه الشرب من المشاكل الاقتصادية في الكويت، إذ أنها تأتي إليها عن طريق شركة الماء وعن طريق بعض السفن الأهلية التي تنقل الماء من شط العرب إليها، وحدثت تبعاً لذلك أزمات شديدة أدت إلى إنشاء تلك الشركة.. وقد كان لرجال الفكر في الكويت آراء متبادلة لحل مشكلة الماء في الكويت، فبعضهم يرى أن أحسن طريقة لتوفير مياه الشرب هي مصدر الآبار الارتوازية، وبعضهم يراها في مكائن تقطير ماء البحر من الخليج، والآخرون يرون جلب الماء في أنابيب ممتدة من شط العرب، وفي هذا الرأي نصيب كبير من الوجاهة.

وهناك فى الكويت كميات هائلة من السيول تنساب فى الوديان إلى البحر لا ينتفع منها بشىء ، وما هى إلا إقامة بعض السدود حتى ترتوى الأرض وتنتج أطيب الثمرات .

وغذاء الكويت الرئيسى هو الأرز كما فى أندونيسيا ، ويلى ذلك السمك واللحوم المتباينة . وهناك بعض المشروعات الاقتصادية النافعة : ففى الخليج الفارسى فى مياه الكويت تكثر الأسماك ويوجد ثمة أنواع فاخرة كالزبيدى وغيره ، ويا حبذا لو قامت شركة وشركات لصيده وحفظه فى العلب وتصديره إلى أرجاء المعمورة ؛ ثم اللؤلؤ الذى نتمنى ألا ييأس الكويتيون منه ، وعليهم أن ينشئوا معامل لتنظيفه وتثقيبه وتحويره وصوغه فى أشكال هندسية فنية للتصدير . وثمة مشروعات صناعية كثيرة تقذف بالصناعة الكويتية مئات الأعوام ؛ فهم يستطيعون صناعة (الطابوق) وعليه ترقى العمارة ، ويستطيعون عصر (البندورة) ثم تصديرها ، وهم يستطيعون استخراج العطور من زهور الربيع ، بيد أن كل ذلك يحتاج إلى عزم وعزيمة ، وهما موجودان فى الروح الكويتية ، وما بقى على تلبية النداء إلا قليلاً ...

وليس فى الكويت مشكلة تكوينية (جمركية) ، وذلك ما أحل للتجارة دروب الرقى ؛ فالجمارك قليلة ومتساوية على جميع أنواع البضائع الواردة كماليات كانت أم ضروريات ، ويبلغ مجموعها ٦ ٪ ، وقد كانت قبل ذلك ٤,٥ ٪ .. وتقسم تلك الجمارك بين إدارة المعارف والصحة والبلدية والمالية بنسبة ١ ٪ لكل من الصحة والمعارف ، و٢,٥ ٪ للمالية ، و ١/٢ ٪ للبلدية .

.. ولعلنا ندرك أثر النقد والعملة فى الحياة الاقتصادية لكل قطر ، ولو نظرنا إلى الكويت نرى أن العملة المتداولة هناك هى العملة الهندية ، وهى تدور حول (الروبية) ، وهى تساوى بالعملة المصرية سبعة قروش ونصف ، وتساوى من الآنات ست عشرة ، والآنة الواحدة بأربع بيزات ، ويوجد ورق قيمته عشرة روبيات ، وآخر قيمته مائة روبية ، على أن شأن العملة لم يستقر بعد ، ولا ندرى هل ستظل عملة هندية أم ستستبدل بعملة أخرى ؟ .

وعادى الحكومة الكويتية تسير قدماً فى دروب الرقى والدأب ، وقد بلغت ميزانيتها ما يساوى مائة وخمسين ألفاً من الجنيهات المصرية فى عام ١٩٤٧ ، وذلك بفضل المجهودات الجبارة التى بذلتها ...

هذه لمحة عامة من لمحات الحياة الاقتصادية فى الشرق العربى ، وسيدرك العالم أهمية الكويت القربية وأهميتها الاقتصادية والاجتماعية ... وإن الشرق المتكتم فيها فى النقد اليمنى بعمرها القليل الذى لا يتجاوز الثلاثة القرون تستطيع أن تفكر فيما عساها تكون عليه من شأن وشأو ، وقيما تتطلع إليه من مستقبل منشود تقصده وهو يقصدها ، وأفراد أمتها كفيلة بإنشاء هذا المستقبل وإبراز هذا النقد المنشود .

أحمد د . الشربيني

حلفـــاء الشقـــاء

للأستاذ عبد المنعم الليجى

« لم يبق لي من رصيد الحياة ، غير قلب محطم ، وجسم مهدم ، وذهن مكدود ، حتى لقد أوشكت أن أكتب آخر سطر في صفحة حياتي ، ثم استنجدت رجولتي ، وخيالات أولادي ، وطيف زوجتي ، فتراجعت ، واستردت أنفاسي ... وابتسمت للحظ وهو يقفز أمامي ، متخطياً جداري كأبطال أوليمب ، ليترك بصماته الذهبية على الإيماءات والفقاقيع » .

وكانت كلماته لغة جديدة لم يحادثني بها من قبل . فلم يكن في هذه المرة حالماً أو شاعراً ممزقاً أو فناناً عنيفاً ، كما عهدته منذ عشرة أعوام ، يوم كان الأدب يستغرق نفسه ، فيصرفه عن هموم الدنيا ، ويزهده في أمر المجتمع . لقد كان عبد الله شاباً برغم الشيب الذي بدأ [illegible] برغم الخطوب التي جارت عليه ، متعففاً مع الناس برغم ما لقي في ماضيه من جهالة وظلم السفهاء .

ولكنه اليوم يفيق من إغفاءته الحالمة ، وحلمه الجميل ، على مرارة الواقع التي تطرد الأطياف الراقصة ، وتبدد أوهام الشعر التي طالما احتفى بها . ويكاد يسقط من حالق إلى هوة سحيقة ليس لها من قرار ، فيقول في حنق وكأنه يحدث نفسه :

« سأحيا من جديد ، وسأبدأ الكفاح مرة أخرى لأظفر بمصباح علاء الدين . سأنزل إلى مستوى هذا العالم . سأنافق أحياناً ، وأغضي أحياناً ، فورائي بيت يطلب حقه في الحياة ، وزوجة تريد حظها من المتعة ، وأولاد يجب أن يأخذوا مكانهم في الميدان ، وورائي فوق هذا نفس تصطرع بين جوانحها رغبات وحاجات . هذه النفس قد عثرت عليها اليوم ، وأنا أشرف على شاطئ الخمسين » .

ولكنني أقول له :

« وتريد أن تفقدها في سن الخمسين . إنك لا تقصد ما تقول ولا شك ، إنما الصدمة خرجت بك من طورك فأنطقتك بما يخالف دينك ، ولا يرضي ضميرك القابع في أعماق نفسك » . فيرد مؤكداً : « إنني أعني ما أقول ، وأريد أن المثالية الأخلاقية لن تكون ديني بعد اليوم في عالم يصفق للمهرجين ويدوس العبقرية بالأقدام » .

قلت : لتكن فلسفتك كما تود أن تكون ، فأمرك ربما لا يعنيني ، ولكن الذي يعنيني الفلسفة التي علينا أن نلقنها للجيل الجديد — ومنهم أبناؤك الذين تسوقك [illegible] . ولا أحسبك ناصحاً لهم بالسقوط والتهالك [illegible] الوصولية والتبريز . وكأنما مست ضميره يد سحرية فطرق [illegible] أن أمضي في حديثي :

— [illegible] حياته في يسر ونعمة وهدوء ، ومع ذلك فلست أراك إلا مؤمناً أن مآسي العظماء أخلد وأنبل وأعمق في الإنسانية من مباذل السلاطين والقياصرة والسراة ، ذوي الجاه العريض والغنى التافه . ثم ألا ترى معي أن مآسي هؤلاء انتهت إلى خاتمة سارة عادلة ؟ .

ولكنه يسارع إلى الاعتراض قائلاً :

— لقد عدوت الصواب فقد ختمت حياة الكثيرين منهم ختاماً أليماً ، بين الحزن والنكد ، إن لم نقل السخط والخيبة .

فأرد عليه :

— إن قصة العظيم لا تنتهي بانتهاء حياته ، فما كانت حياته لتنتهي مع آخر أنفاسه ، أو تخمد بخمود جذوة الحياة في قلبه . إنها تدوم : لا فوق سطح الأرض ، ولا في باطنها المظلم ، ولا في السماء التي لا ندرك مداها ! ولكن في عقول الأجيال ، وقلوب البشر ، وخواطر الحفدة ، وضمائر

الخلف . وقد علمنا التاريخ — أردت أو لم ترد — أن النصر حليف هؤلاء الأبطال المكافحين ، في أي ميدان ، عقلياً كان أو فنياً أو اجتماعياً . وسيان عندي كان النصر في حياة هؤلاء ، أو بعد مماتهم ؟ فالبشرية شاهد عليه ، وحياة البشرية ليست رهناً بحياة فرد أو أفراد . لست أطلب شططاً .

« إني لا أطمع أن تكون الحياة في عيني روضة ، وفي أذني أنشودة ، وفي أنفي طيباً ، وفي فمي شهداً . لست أطمع في شيء من ذلك . ولكن من الظلم أن تكون حياتي كلها شقاء ، وأن يكون عيشي كله دموعاً ، ودهري كله حزناً » .

وألمح في ثنايا حديثك أعراض مرض تفشى حتى ينخر كثير من أبناء هذه الأمة ، ولا أحسب إلا أن عدواه قد انتقلت إليك ، وغاية ما أخشاه أن ينتقل إلى أبنائك . ذلك المرض يدفع صاحبه إلى حالة الشقاء ، وإدمان اليأس والركون إلى الهموم . قد تعجب من قولي هذا ولكن العجب يزول من غير شك إذا علمت أن هذا [illegible] دون سواه ، يُصيبه الإخفاق في كل عمل يقوم به ، ويتأخر عن الصفوف الأولى حتى يبدو للناس أن الحظ يخونه ويبدو لنا أن أمراً يضطهده ويحول بينه وبين التقدم . ولو بحثنا حال هؤلاء بشيء من الدقة ، لوجدناهم أولي نفوس هشة ، وإرادة ضعيفة ، ولاكتشفنا أنهم يهربون من المسئوليات ، ويخشون جلائل الأمور . وليس العيب عيبهم ، إنما هو عيب التربية الأولى التي غرست في أذهانهم — عن طريق التدليل — أنهم خير الناس ، وعودتهم أن يكونوا مركز الاهتمام ، ولم تتح لهم فرص البذل مكتفية بإتاحة فرص الأخذ ، فنشأ هؤلاء أطفالاً يرون أنهم خير الناس ؟ ولكن المجتمع الخارجي ليس كالأسرة تحنو على الطفل أياً كانت قدرته ، وليس مستعداً دائماً لمواجهة حاجات الأفراد ، أو الناس العاذرين لهم ؟ فالهياب الوجل ، يبقى خلف الصفوف ، والمقدام الجسور ، يتقدم تلك الصفوف .

ولكن هذا الوضع لا يرضي أطفالنا الكبار ، ولا يحقق رغباتهم الخارقة التي تعجز عن تحقيقها إراداتهم القاصرة ؟ فيثورون ، لا على أنفسهم ولكن على الدنيا ، ويلعنون الحظ ، ويتهمون الرؤساء بالمحاباة ، والزملاء بالتملق ، وعامة الناس بالغفلة وعدم التقدير . ويجأرون بالشكوى يرددونها في مسامع الأصدقاء الذين ينفرون منهم بعد قليل ، أو يدقون باب الندم على ما ضاع من أحلامهم . وما العثرات التي يصبونها أو التهم التي يقذفون بها ، أو الشكوى التي يجأرون بها ، أو الندم الذي يحسون به ؟ ما كل ذلك إلا وسائل نفسية يستخدمونها لإخفاء عيوبهم عن ذات أنفسهم . وكلما أحسوا بنقصهم ، وكلما شعروا بتخلفهم عن غيرهم ، ألحوا في هذه الوسائل حتى ينتهي الأمر أن يصدقوا أنفسهم ، وتصبح العثرات والتهم والشكاوى حقائق دامغة ، يلبسون لها الوجوه [illegible] ويصبح العالم المتقدم ، والناس المتفوقون في حياتهم ، أعداء مسئولين عن إخفاقهم . فهم حينئذ كالنعام يحسون [illegible] ، فيخفون حقيقة عيوبهم عن أنفسهم ، و[illegible] عن الناس ، ويهربون من المشكلة [illegible] ، أو يعالجونها في حكمة .

وأنا أرجو ألا تكون واحداً من هؤلاء ، لأنهم ضعاف لا زاد لهم ، وأنت غني بنفسك ، قوي بأدبك ؛ وأنا لا أراك تشكو الطالع لأن كارثة حلت بك ، أو منصباً حرمت منه ، أو جاهاً سلبته . إنما أراك كذلك حين يعتريك الذبول ، وتنثني عنك الكآبة التي قيل عنها إنها أعوان الحزن هاجم ليلتهمك وأنت على قيد الحياة . حينئذ فقط ، أندب حظك ، إذ تفقد مالك من قيمة ، وتتلاشى ما تنطوي عليه حياتك من معنى نبيل .

وكان صديقي يصغي إلي ، كما ينصت التلميذ إلى أستاذه ، ورغم أن علامات الرضا بدأت تبدو في قسمات وجهه إلا أنه خشي أن يسلم فقال مهاجماً إياي :

— إنك رأس بغير قلب ، وفكر بغير عاطفة ، وعقل

(البقية على صفحة ٦٤)

جـــــوته والطبيعة

للأستاذ حسن لطفي المنفلوطي

لا جدال في أن شخصية الشاعر الألماني « جوته » كانت متعددة النواحي ، وأن اتجاهاته كانت كثيرة إلى الحد الذي يستطيع فيه الناس أن يجد كلٌ الناحية التي تعجبه أو الاتجاه الذي يلائمه . ولهذا تعددت نواحي الدراسات والبحوث التي قام بها النقاد والأدباء في مختلف أقطار الأرض .

وهناك من النقاد من يعلي من شأنه بسبب رأيه في الطبيعة والإنسان ، ويضع مؤلفاته في المرتبة الثانية من عبقريته ، بعد فكرته عن الإنسان وشعور هذا الإنسان بالطبيعة وبمركزه منها .

ويرى الناقد الإنجليزي « هوايت » أن هناك ثلاث مراحل هامة في تطور الفكر البشري : المرحلة الأولى منها تبدأ من بدء انفصال الإنسان عن الحياة الحيوانية ، وكان الإنسان فيها يشعر بأنه جزء من الطبيعة لا يعي استقلالا عنها ، والمرحلة الثانية تبدأ في القرن الرابع [illegible] أصبح الإنسان في هذه المرحلة يشعر [illegible] ويفكر في نفسه باعتباره منفصلا عن الطبيعة ، [illegible] هذه المرحلة الفيلسوف الأغريقي أفلاطون ، الذي فصل القيم الثابتة عن عالم الظواهر الطبيعية . وهذا الفصل العميق قد صبغ بلونه تفكير أغلب مفكري العالم منذ ذلك الحين . فقد اعتبروا الفكر والمادة شيئين منفصلين في الأصل ، وأن الشعور الإنساني والإرادة الإنسانية منفصلان عن العالم الخارجي . وأما المرحلة الثالثة ، فيرى كثير من المفكرين أننا مقبلون عليها ؛ وسوف تمتاز هذه المرحلة بأن الإنسان سيسترجع فيها ذلك الشعور بالوحدة مع الطبيعة ، ولكنه يدرك هذه المرة العمليات الطبيعية التي تعمل في نفسه . وهذا الشعور نتيجة للاعتقاد العقلي الواضح الذي يعززه الفهم العلمي للعمليات العضوية وغير العضوية والعقلية التي تعمل داخل عقل الإنسان ، وثمرة مباشرة للأثر المتزايد للعلم ولاتساع مجاله ومدى إنجازه . وخاصة في ميادين علم الحياة وعلم النفس وعلم الاجتماع . وإذا ما استمر تقدم العلم ، سوف يرى الإنسان نفسه بعد قليل أو كثير جزءاً من النظام العام للطبيعة ، ولذلك لا يدهشنا إذا ما وصل عدد كبير من المفكرين إلى أننا ندخل المرحلة الثالثة التي تمتاز بالإدراك العلمي الواضح للإنسان باعتباره جزءاً من الطبيعة .

ولذلك يرى « هوايت » أن أفلاطون كان رمزاً للمرحلة الثانية ومبشراً بها وممهداً لها ، كما يرى جوته رمزاً للمرحلة الثالثة ومبشراً بها وممهداً لها أيضاً .

ومهما كان رأينا في فكرة « هوايت » فلا جدال في أن إحساس جوته بالطبيعة كان إحساساً غير عادي ؛ فلقد اعتقد هذا الشاعر في أن الإنسان يستطيع بالملاحظة الدقيقة أن يفهم جميع التغيرات التي تعتري الطبيعة ، حتى إنه قال ذات مرة إن مطمحه الوحيد هو الكشف عن قانون واحد للتغيرات التي تطرأ في عوالم الطبيعة المختلفة : العالم غير العضوي [illegible] والجيولوجيا ، والعالم العضوي لنماء النبات وتطوره ، وعالم الإنسان الدرس والتعلم ، والعلاقات الفردية والاجتماعية ، وظل من فجر حياته حتى مغربها يسيطر عليه إحساس عميق بالوحدة مع الطبيعة . وهناك لحظات خيل إليه فيها أنه كشف هذا القانون في إحدى هذه الميادين ، ولكن الرأي العلمي لم يقدر اكتشافاته هذه كما قدرها هو نفسه .

وكان هذا الاتجاه عجيباً . فلم يكن جوته يفكر تفكيراً منظماً مضطرداً ، ولذلك استطاع بصيرته وإلهامه أن يتغلب على تلك الثنائية التي سيطرت على الفكر البشري .

ونحن لا نستطيع أن نسمي هذا فلسفة عن الطبيعة ولا حتى رأياً ، ولكن يكفي أن نسميه إحساساً بالطبيعة ، لأن جوته فكر فيه من الناحية البصرية ، ولأنه كان إحساساً قوياً غير عادي بالطابع العام للوجود ، وهذا واضح في كتاباته عن الطبيعة وفي مذكراته عن نفسه وعن العلوم ؛ حتى أننا نستطيع أن نتبين آثاره أيضاً في جميع مؤلفاته وأطوار حياته .

وينبغي ألا يصرفنا النقاش عن قيمة اكتشافاته في العلوم من روعة جمال رأيه في الطبيعة ومغزاه ، فلم يكن جوته عالماً بالمعنى الذي نعرفه اليوم .

وهذا الإحساس ملون بفلسفة الوحدة مع الطبيعة وفلسفة الحلولية ، فقد اعتقد جوته أنه لا يوجد دوام ، فكل شيء في مرحلة التكوين والتحول ، وأنه علينا أن نكتشف قانوناً واحداً يسود الكون فالتكوين (Gestaltung) والتحول (Metamorphose) ، ولا ينبغي أن ننظر إلى الإنسان باعتباره فرداً معزولاً ، ولكن باعتباره تعبيراً عن الطبيعة العامة . وهذه الوحدة في العمليات الطبيعية تكمن تحت التقسيم الظاهري للعقل والمادة ، وللذات والموضوع ، وأن المواهب الإنسانية التي تعمل في الخلق والإبداع تعبير عن العمليات العامة التي تعمل في الإنسان ، ومن الحكمة أن نقبل ما تتضمنه هذه العمليات ، وأن نحاول إيجاد التوافق بين جميع الدوافع التي أوجدتها الطبيعة فينا .

وكان جوته مقتنعاً اقتناعاً جازماً بأن الطبيعة الإنسانية تصور القوانين العامة ، وهذا يتضمن [illegible] في رجل الفكر ورجل الفن ، وهذه القوانين تكمن [illegible] في الطبيعة العضوية وغير العضوية . [illegible] وعلم الحياة وعلم الأخلاق وعلم الجمال تصير كلها واحدة إذا ما فهمناها جيداً ؛ وقال إنه يمكننا معرفة الجمال الموجود في الطبيعة والفن معرفة كاملة ، إذا ما عرفنا أولاً القوانين العامة للطبيعة ، وثانياً القوانين الخاصة التي تعمل بها الطبيعة عملاً متميزاً داخل جسد الإنسان .

ومهما كان رأينا في تلك الآراء ، فلا جدال في أنها قد أثمرت ثمراً فنياً وإنسانياً ، وخاصة أن جوته قد رأى بخياله وحدة الجنس البشري ، وقال في عصر انتعشت فيه روح القومية والتعصب للحضارة الأوروبية :

ومن يعرف نفسه وغيره ،
يتحقق من هذا أيضاً ،
فالشرق والغرب ،
لا يستطيعان العيش معزولين من بعد .

عيسى الطبي الطنطاوي

حلفاء الشقاء

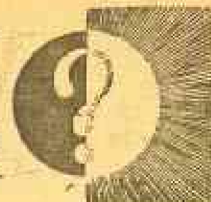
(بقية المنشور على صفحة ١٢)

بغير خيال . أنتم رجال الفكر ، وحماة العقل ، ورواد الحكمة تعيشون في هذه الدنيا عقولاً مجردة ، لا تعرف اللذة والألم ، ولا تحس الرضا والغضب ، ولا تتذوق البسمة والدمعة ... ولكنها تحلل وتعلل ، وتزن وتقيس . أعصابكم من الثلج ، ودماؤكم من الجرانيت ، وعيونكم من البلور ، والإنسان المتكامل في نظركم من سد قلبه من الرقة ، وثبت وجدانه عند « درجة الصفر » ، وعاش كما تعيش الآلة فكرة مجردة ، خالدة ، تشرف على الدنيا من خلال برج من العاج .

ولا أظني كما رسمت لفكرة أحلق في أجواء التجريد ، لا أطلقت [illegible] التحليل ، ولا أنا فرضت عليك الاستسلام [illegible] البلادة والجمود ؛ وإنما أردت ألا تكون ممن تنخلع قلوبهم لأتفه الآلام ، أو تهدمهم أبسط الأحداث ، وصدت [illegible] صدور أنفسنا . وما دامت الأحداث [illegible] وقيود الحياة تخنقنا ، فلا يجمع أن تبقى حيث كنت دائماً ، ساخراً بالقدر ، مستهيناً بالصعاب ، تتناول آلام الحياة وشرورها وتحيلها إلى صور فنية . إنما [illegible] الكتب ، والنغم ، والقصص ، وتلقى ضربات القدر بهزة من رأسك ، وبسمة من فمك ، ثم تمضي في فكرتك ، وتنعم [illegible] خطة من قلبك تبعث الحياة في أوصالك ، وتحكي الأجيال القادمة قصة كفاح المفكرين الأحرار في سبيل الحق والحرية والجمال . وسوف ننتصر في النهاية ، ولا يعنينا أن نفوز بالنصر في حياتنا ، أو بعد مماتنا ، طالما تستقر في أذهاننا قول سينانكور الخالد :

« الإنسان فان . فليكن . ولكن لنفن ونحن نقاوم ، وإذا كان العدم ينتظرنا فلا يجوز أن نعمل على أن يكون هذا العدم قضاء عادلاً » .

عبد المنعم المليجي
مدرس علم النفس بمعهد التربية



كيف

بحوث علميـــــة

الأستاذ حافظ أحمد أمين

ما هي وظيفة الرادار، وكيف يميز بين الطائرات المختلفة؟

الرادار جهاز يشبه إلى حد ما أجهزة الراديو العادية، فهو يؤدي عمليتي الإرسال والاستلام اللاسلكية ويعطي تسجيلات ضوئية مبكرة عن مدى واتجاه الطائرات أو البواخر أو أي جسم معدني متحرك أو ثابت بالنسبة للمحل الموجود به هذا الجهاز.

ووظيفة الرادار أن يرسل [illegible] المحطة التي بها الرادار وطرفه [illegible] خمسين ميلا أو أكثر لتصطدم بأي جسم معدني يعترض طريقه في الفضاء المجاور فترتد ثانية لتشغيل أجهزة الاستقبال الموجودة بنفس المحطة المرسلة، وعلى العامل المختص بمراقبة جهاز الرادار أن يميز بين نوع الأهداف — الثابت منها والمتحرك — وذلك يتأتى بعد مدة يقضيها في التمرين.

والتمييز بين الطائرات الصديقة والطائرات العدوة، تحمل الطائرات الصديقة جهازاً يستقبل الشعاع الذي ترسله محطة الرادار ويكبره، ثم يرسله ثانية، فتظهر للعامل المختص بمحطة الرادار كنقطة ضوئية تختلف عن النقط الناشئة عن انعكاس الشعاع عند اصطدامه بهدف لا يحمل هذا الجهاز؛ ومن مزايا هذا الجهاز، أنه بواسطة مفتاح صغير يحركه الطيار — إذا ما كان في حالة خطر — تظهر هذه العلامة للعامل المختص بمحطة الرادار فترسل المساعدات اللازمة؛ وهذا الجهاز مجهز بديناميت ينسفه إذا ما اضطر الطيار إلى النزول بأرض الأعداء.

ما هو التلفزيون وكيف يعمل:

التلفزيون جهاز يقوم بإرسال صورة من الصور لجسم متحرك إلى مستقبل بعيد، باستخدام جهاز الراديو.

ويتلخص عمل التلفزيون في تجزئة الصورة إلى جزيئات صغيرة جداً — كما هو الحال في طبع صور الصحف — فيكون لكل من هذه الجزيئات ما شدة إضاءة مستقلة عن الأخرى، ثم تحويلها إلى موجات كهربائية تذهب لمحطة الإرسال اللاسلكية، وتتوقف شدة وضوح الصورة المرسلة على عدد الجزيئات التي تجزأ إليها الصورة المراد نقلها.

ولا بد أن تكون حركة عملية التجزئة سريعة جداً حتى لا تتأثر بها العين أو تلاحظها، كما يجب أن يتذبذب كل جزء بعدد مناسب من الذبذبات كل ثانية لكي تصور لنا حركة تامة متواصلة في نهاية الأمر.

لماذا تفرغ المصابيح الكهربائية من الهواء؟

إن الجزء الأساسي في المصباح الكهربائي عبارة عن سلك مرتفع المقاومة من معدن خاص، معلق في حيز مفرغ من الهواء أو يحتوي على غاز الأزوت أو الأرجون ومحاط بغلاف من الزجاج، وعندما يمر التيار الكهربائي في السلك الرفيع ترتفع درجة حرارته ويتوهج.

أما فائدة فصل هذا السلك عن الهواء الجوي فهي وقايته من الاحتراق والاتحاد بأكسوجين الجو عند ارتفاع درجة حرارته.

كيف نسخن مواسير التدفئة في أسلاخ خرسانة الأسقف؟:

فكر المهندسون في تركيب مواسير تمر فيها المياه الساخنة فتسخن السقف ثم يحول السقف إشعاع الحرارة داخل الحجرات، وقد جعلوا الخرسانة ملامسة لجميع أجزاء المواسير حتى تنتقل الحرارة إلى مدى أوسع فيسخن السقف بسرعة، كما عملوا على ألا تتسرب حرارة السقف إلى أعلى وذلك بعزله من الأرضية العليا.

وقد فكر المهندسون في طريقة استخدام مواسير التسخين في المباني بوقاية أسياخ التسليح المقاومة الشد حتى نجحوا أخيراً، وأدى ذلك إلى توفير ٥٠٪ من حديد التسليح.

ومن حسن الحظ أنه وجد أن معامل تمدد الحديد والخرسانة واحد، فأصبحت المواسير والخرسانة كتلة واحدة تتمدد وتنكمش بمقدار واحد.

ويجب علينا اختيار أحسن المواد التي تضمن عدم حدوث أي عطب أو رشح في هذه المواسير، كما يجب أن تكون مواد المواسير ذات خواص معينة، فلا تتشقق، وتكون موصلة للحرارة.

كيف نستعمل الحرارة أو الكهرباء في [illegible]

قد يكون من الغريب — حين ننظر إلى الثلاجات وآلات التبريد — أن نرى آلة تعطينا [illegible] حين نمدها بالحرارة أو الكهرباء، فهذا هو ما لا تتقبله عقولنا من أول وهلة، فقد رأينا الحرارة والكهرباء إذا أضيفت إحداهما إلى جسم من الأجسام ارتفعت درجة حرارته.

ولكننا حين ننظر إلى السيارة أو القطار أو غيرهما، نجد أن هذه الآلات حين نمدها بالحرارة تمدنا بالحركة، وذلك بواسطة بعض الأجهزة اللازمة لذلك، فإذا عكسنا حركة هذه الأجهزة استطعنا أن نحصل على آلة إذا مددناها بالحركة أمدتنا بغازات متباينة الضغط (نتيجة هذه الحركة المتولدة من الكهرباء أو الحرارة).

وهذا الاختلاف في الضغط يسبب حاجة الغازات ذات الضغط العالي إلى التمدد. وهذا التمدد يحتاج إلى حرارة تستمد من الماء أو الأشياء المراد تبريدها والتي تحيط بهذه الغازات المضغوطة ضغطاً عالياً.

* * *

ما معنى الديزل؟

من هو الدكتور ديزل؟:

رودلف ديزل مهندس ألماني كبير، ولد في باريس عام ١٨٥٨، وقضى طول حياته محاولاً تصميم جهازه الشهير باسمه حتى توصل إليه عام ١٨٩٢.

ولقد كان للتجارب العديدة التي قام بها البروفسور شروتر في أوجسبرج على آلات الديزل أثرها الكبير في عرض هذه الآلات في ميونخ عام ١٨٩٨.

في أي المركبات تستعمل آلة الديزل؟:

ولقد بُدئ في استخدام آلات الديزل في تسيير القطارات — بدلاً من الآلات البخارية — ثم استخدمت في إدارة دوامات السفن، حتى أن كثيراً من البواخر الكبيرة تسير الآن بواسطة آلات الديزل.

ولقد بُدئ أخيراً في استخدام آلات الديزل في السيارات الكبيرة، كما نلاحظ الآن في السيارات العمومية (أتوبيس) بالقاهرة، وفي بعض سيارات الرمل بالإسكندرية.

ألا تستعمل آلة الديزل في الطائرات؟:

من المعروف أن إدارة أي آلة يتم بالحصول على ضغط على أجزاء هذه الآلة، فيستخدم ضغط البخار في إدارة الآلات البخارية، كما يستخدم الضغط المتولد من احتراق البنزين في إدارة السيارة والطيارة والموتوسيكل، والضغط المتولد من احتراق زيت الديزل في آلات الديزل.

ويلاحظ أن الضغط في آلات الديزل — المتولد من الاحتراق — ضغط كبير جداً، فقد يصل إلى أكثر من ٦٠٠ رطل على البوصة المربعة، ومن هنا زاد سمك اسطوانات الآلة — لكي تتحمل هذا الضغط — وبالتالي زاد وزنها إلى درجة لا يمكن استعمالها في الطائرات، وإنما استخدمت بدلاً منها الآلات التي تسير بالبنزين كما هو الحال في السيارات.

ما هو الفرق بين آلة السيارة والديزل؟:

في كل من السيارة والديزل يتم الضغط داخل اسطوانات الآلة عندما يحترق الوقود، فتحاول الغازات أن تتمدد، ولكن طريقة احتراق هذا الوقود تختلف اختلافاً بيناً في كل من الآلتين.

ففي السيارة يتم احتراق البنزين نتيجة إحداث شرارة كهربائية داخل الأسطوانة التي بها البنزين والهواء، فيحترق البنزين ويرتفع الضغط إلى حوالي ٤٠٠ رطل على البوصة المربعة؛ أما في آلة الديزل فيتم احتراق زيت الديزل نتيجة ذلك الضغط الشديد الذي يحدثه الكباس وبدون الحاجة إلى شرارة.

ونلاحظ أن الحرارة المتولدة من احتراق الوقود يضيع جزء كبير منها، ويتبقى جزء آخر يتحول إلى طاقة ميكانيكية تدور بواسطتها الآلة؛ وإذا عرفنا أن هذا الجزء المتبقي من الحرارة هو حوالي ٢٠ في المائة في حالة السيارة، وأنها حوالي ٣٥ في المائة في حالة الديزل، رأينا مقدار الفائدة التي نحصل عليها من آلة الديزل.

لماذا كانت آلة الديزل أفضل من آلات البخار؟

ومما قلناه عن الفائدة في حالة الديزل والسيارة نستطيع أن نقارن بين الديزل وآلات البخار، فقد نحصل على فائدة من آلة الديزل تساوي ضعف الفائدة التي نحصل عليها من آلات البخار.

هذا فضلاً عن أننا استطعنا أن نصل في سرعة [illegible] كبيرة من السرعة التي حصلنا عليها [illegible] الدورة الواحدة في حالة الديزل (والتي تتكون من [illegible] واحتراق وتمدد وطرد الغازات المحترقة) استطعنا أن نجعلها تتم في أقل من [illegible] من الثانية في بعض آلات الديزل، ولكننا لم نستطع أن نتحكم في انتشار البخار داخل آلة البخار إلى مثل هذا الحد.

من أين نحصل على زيت الديزل؟

يستخرج زيت الديزل من الزيت الخام الموجود في آبار البترول، وهو أحد مركباته الثقيلة التي تنفصل من الزيت الخام في عمليات كبيرة كما ينفصل أيضاً الزفت وزيت التزييت.

أما المركبات الخفيفة كالبنزين والغازات فتخرج من أعلى [illegible] وتحفظ في خزانات كما هو مشاهد في مصانع التكرير لشل وسكوني فاكوم بالزيتية بالقرب من السويس.

ما هو أهم جزء في الآلة يستحق العناية؟

رأينا فيما سبق أن احتراق البنزين في السيارة يتم بواسطة الشرارة الكهربائية داخل الأسطوانة، ولما لم يكن ثمة داع لوجود هذه الشرارة الكهربائية في آلة الديزل — إذ أن الاحتراق يتم نتيجة الضغط الشديد الذي يحدثه الكباس — فإننا نحتاج في هذه الحالة إلى جهاز يوصل زيت الديزل إلى الهواء المضغوط ضغطاً عالياً داخل الأسطوانة، وهنا يتم بواسطة مضخة تنقل الزيت إلى رشاش مثبت في رأس الأسطوانة.

ووظيفة هذا الرشاش هي تجزئة الزيت إلى دقائق متناهية الصغر ودفعه إلى داخل الأسطوانة عن طريق ثقوب غاية في الصغر فتساعد هذه التجزئة الزيت على الاحتراق السريع.

وعلينا من وقت لآخر أن ننزع هذا الرشاش من محله، ثم علينا أن نفحصه بعد ذلك وننظفه ونزيل الرواسب التي تعلق بالثقوب الصغيرة.

ما هو وجه الشبه بين الإنسان والديزل:

إذا ما تغاضينا النظر عن النواحي الروحية والعاطفية في الإنسان، استطعنا تشبيهه بالآلة، وقوده الطعام، ويقوم [illegible] الاحتراق [illegible].

ونلاحظ أن كل آلة — سواء كانت ديزل أو غير [illegible] تماماً، لتؤدي عملاً معيناً بقوة [illegible] إذا صممت آلة ديزل مثلاً قوتها [illegible] ما وزنه معين لمدة ثلاثين عاماً، فإننا نستطيع أن نحملها ثقل خمسين حصاناً لتجر قطاراً ما وزنه أكبر من المفروض، ولكننا نلاحظ أنها لن تستمر حينئذ إلا لمدة عشرة أعوام، وتكون الفائدة المرجوة منها أقل من الفائدة الأولى بكثير.

وكذلك لا يجوز أن نجعلها تقوم بقوة أقل من القوة المفروضة عليها لتضيع الفائدة المرجوة منها.

وهكذا خلق الإنسان، له من الطاقة ما يجعله يقوم بأعمال معينة تناسب حالته الجسمانية والفكرية، فإن أراد أن يضاعف هذه الأعمال قل نشاطه وقصرت المدة التي يستطيع تحملها، وإن أراد أن ينقص من الأعمال المفروضة عليه ضاعت الفائدة المرجوة منه.

وكما تحتاج الآلة إلى راحة قليلة من وقت لآخر للتشحيم والتزييت، كذلك الإنسان يحتاج إلى هذه الراحة، يستعيد بعدها نشاطه، ويبدأ عمله بقوة جديدة تساعده على تحقيق آماله وتنفيذ خططه.

حافظ أحمد أمين



نقوش رءوس الدبابيس

الدكتور محمد أنور شكري

اتخذ المصريون الدبابيس(1) كأداة للقتال في عصور ما قبل الأسرات، وهو ما تمثل عليه إحدى الصور على جدران مقبرة الكوم الأحمر (شكل ١)، ونقوش الصحيفة الحجرية لصلاية الملك نعرمر وغيرها من نقوش عهد الأسرات، التي تمثل الملك يهوى بدبوسه على رأس أحد أعدائه أو على رءوس مجموعة منهم، ولو أن مثل هذه النقوش قد أصبحت في عهد الأسرات صوراً رمزية تحكي عن انتصار الملك وبطشه بأعدائه.

وكان الدبوس يتألف من مقبض من الخشب في أغلب الأحيان مما عرضه للتلف والضياع، ومن رأس مثقوب من الحجر، كان يركب فيه المقبض، ثم يحكم شدهما معاً بسيور من الجلد. وقد صنعت رءوس الدبابيس من الصخور النارية، كالبازلت، والحجر الأسواني (السيانيت)، والديوريت، والدولوريت، والبورفير؛ أو من الصخور الرسوبية كالحجر الجيري، والبرشيا، والألباستر المصري، أو من الصخور المتحولة كالرخام.

ظلت نقوش الدبابيس مادة لرصد ما وقع من أحداث، وما ألفوه من طقوس واحتفالات، وتعبر في نفس الوقت [illegible] كالاحتفالات المصورة [illegible] رمزية [illegible] الفنان على الحجر تمجيداً في شأن معركة، وتخليداً لذكراها، وابتغاء استطاعة آثار ما قاموا به من أعمال، وما احتفلوا به من طقوس.

وكانت دبابيس الوجه البحري في أوائل العصر الحجري الحديث ذات رءوس مكورة من أعلى ومفلطحة بعض الشيء من أسفل، أي على شكل الكمثرى؛ وهي بذلك تشبه رءوس الدبابيس التي ظهرت في الشرق الأدنى وفي قبرص وكريت. أما رءوس الدبابيس التي كانت في الوجه القبلي وفي بلاد النوبة في عهد نقادة الأولى، فقد كانت على شكل قرص مفلطح أو بقاعدة مدببة مقوسة الجوانب إلى الداخل. وفي عهد نقادة الثانية ساد في الوجه القبلي الدبوس ذو الرأس الكمثري الشكل، مما يعد دليلا على انتشار حضارة الوجه البحري إلى صعيد مصر في ذلك العهد. ومهما يكن من أمر فإنه يلاحظ أن الدبوس الذي يهوى به الملوك على رءوس الأعداء في عهد الأسرات هو من هذا الطراز دون استثناء. عدا هذين الطرازين لقد صنع المصريون بعض رءوس الدبابيس على شكل طرفين مدببين وجانبين مقوسين.

ومنذ بداية عهد الأسرات على الأكثر بطل استخدام الدبابيس على اختلاف طرزها كأداة للقتال، وظلت من

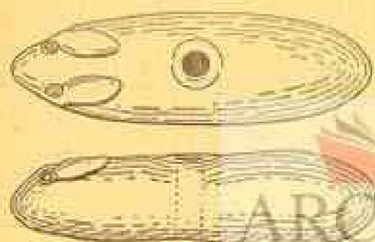
(١) الدبوس كلمة معربة عن الفارسية القديمة، وهو حسب كتب اللغة عصا من خشب أو حديد في رأسها ما يشبه الكرة. وقد ذهب Bonnet في كتابه عن أسلحة شعوب الشرق القديم إلى أن الدبوس هو هراوة من شكل خاص، وأن الهراوة قد توصل في أصلها إلى قطعة من حجر ذات رصيفة قوية تصلح في حد ذاتها لأن تكون سلاحاً.



(شكل ١) زعيم يهوى بدبوسه على رؤوس أعدائه

شارات للملك وأدوات الطقوس الدينية والجنازية ! ويدل على ذلك تمثيل الملك وهو يقبض على الدبوس في حضرة الآلهة، وما عثر عليه من رؤوس الدبابيس في بعض المعابد، وبعضها من حجم كبير وعليه نقوش كثيرة مختلفة، كما يدل عليه أيضاً صور الدبابيس على توابيت الدولة الوسطى. بل هناك ما يشير إلى أن استخدام الدبابيس لهذه الأغراض يرجع إلى عهود ما قبل الأسرات، فقد كانت توضع إلى جانب الميت في بعض الأحيان نماذج صغيرة من الصلصال لبعض الدبابيس، ورؤوس بعضها من اللازورد أو المرمر أو الخشب، ومقابض بعضها من العظام. ولعل بعض هذه النماذج على الأقل قد صنع لبعض التماثيل الصغيرة. ومن عهد نقادة الأولى كشف عن رأس دبوس [illegible] والأبنوس، مما يدعو إلى الظن [illegible] الشرف أو على الأقل مما صنع خصيصاً [illegible]. وفي الكوم الأحمر عثر على كثير من رؤوس الدبابيس، غير أنه يلاحظ أن الثقوب بعضها غير عميقة، وبذلك لم تكن تصلح كأداة للقتال. وفي بلاد النوبة عثر على دبوس ذي مقبض من الذهب عليه صور بعض الحيوانات، مما يشير إلى أنه أعد للاحتفالات وما إلى ذلك من مناسبات.

وكانت رؤوس بعض الدبابيس تحلى بشكت صغيرة منتظمة في الغالب، ويبدو أن بعض هذه الشكت كانت ترصع بمادة أخرى، فقد ذكر بتري رأساً من هذا القبيل ملئت شكته بعجينة زرقاء. هذا وقد كانت بعض الرؤوس تحلى بنقوش محفورة أو بارزة؛ ومن هذه النقوش ما يمثل وجوه رجال بلحى طويلة أو رؤوس بعض الحيوانات كالثور وفرس النهر والأرنب (شكل ٢)، أو صور بعض الحيوانات كالتماسيح والثعابين والطيور. ولقد ساعد هذا على تحلية بعض رؤوس الدبابيس بصفوف الحيوانات أو بصفوف الأسرى أو بالمناظر المختلفة، فقد عثر في معبد الكوم الأحمر على بضعة رؤوس محلاة بنقوش مختلفة، ومنها رأس من « السربنتين » كررت عليه صورة كلب يهجم على أسد ثلاث مرات (شكل ٣)، بحيث تتداخل صورتهما معاً، وقد أجاد الفنان تمثيلهما في شيء كثير من المهارة. ومنها أيضاً رأس من العاج نقشت عليه في ثلاثة صفوف متتالية صور الأسرى، قيدت أذرعهم من وراء ظهورهم ونشبت في رقابهم الحبال، ويتجه أسرى كل صف إلى جهة مضادة للجهة التي يتجه إليها أسرى الصف التالي. ومنها كذلك بضعة أجزاء من رأس كبيرة لدبوس آخر



[illegible] رأس دبوس مدبب نحت أحد طرفيه على شكل رأس الأرنب

من الحجر الجيري، عليه صورة ملك بتاج الوجه البحري متشحاً بعباءة طويلة وجالس في عرش فوق منصة عالية، ومن أسفل ذلك صفان من الرجال يحملون بعض الشعارات أو بعض أدوات الطقوس الدينية. على أن أهمها جميعاً رأسا دبوسي الملك الموسوم بالعقرب والملك نعرمر، وهما رأسان كبيران من الحجر الجيري نقشت عليهما مناظر مختلفة، يجدر شرحها في شيء من التفصيل.



(شكل ٣) صورة متداخلة لكلب يهجم على أسد على رأس أحد الدبابيس

لم يبق للأسف من رأس دبوس الملك العقرب غير ما يقرب من نصفه، ويبلغ طوله ٣٢ سنتيمتراً وعرضه ٢٥ سنتيمتراً تقريباً. ويبدو مما بقي من نقوشه أنها نقشت في ثلاثة صفوف متتالية (شكل ٤). وكان الصف الأعلى يشتمل على مجموعتين من الألوية، علق بكل من ألوية المجموعة الأولى الزقزاق، وهو طائر كان يرمز به إلى سكان مصر، وعلق بكل من ألوية المجموعة الثانية القوس، وكان يكنى به عن سكان الواحات ووديان الصحاري المحيطة بمصر؛ وبهذا يتضح أن المقصود هو تسجيل انتصار الملك على بعض سكان مصر والقبائل المجاورة. وفي الصف الثاني يبدو الملك في حجم كبير وعلى رأسه تاج الوجه القبلي وأمام وجهه علامتان تمثلان وريدة وعقرباً، مما دعا إلى تسميته بالعقرب، وقد مثل وهو يمسك في يديه معزقاً يريد أن يشق به الأرض، ومن أمامه رجل في حجم متوسط يحمل بين يديه وعاء من خوص ليتقبل فيه التراب، يليه رجل يقبض في يديه على مجموعة من سنابل القمح، ويعلوهما رجلان يحملان لواءين، ومن خلف الملك تابعان يحمل كل منهما مظلة أو مروحة، ومن ورائهما صفان من نبات البردي، ثم شخصان جالسان في محفتين من خلفهما تابع يحمل عصا في يمينه، وإلى جانبهما بعض الراقصات يرقصن ويصفقن بأيديهن. ويشغل الجزء الأعلى من الصف الثالث مجرى ماء يتفرع منه مجرى آخر، على جانبيه رجلان يعملان في



(شكل ٤) نقوش رأس دبوس الملك العقرب

منخفضة ، ومن خلف أحدهما معبد صغير إلى اليسار ، بينما يسرع إلى الثاني رجل ثالث يحمل في يده مجرفاً ، وعلى مسافة منهما إلى اليمين حقل تتوسطه شجرة باسقة من النخيل ، على أن هذا المجرى لا يلبث أن ينثني إلى اليمين ، حيث يرى على خطه العلوي مقدم قارب ، وعلى مسافة من خطه الأسفل معبد آخر ؛ ويبدو أن الغرض من هذا كله هو تمثيل الاحتفال ببعض أعمال الري أو الزراعة .

وقد استعان الفنان بالشرائط الأفقية في فصل الصف الأول عن الصف الثاني ، وفي تمثيل الأرض التي يقف عليها بعض الأشخاص أو التي ينمو منها نبات البردي . على أن صورة الشخصين الجالسين في الحفتين ومن خلفهما التابع تخلو من مثل هذه الشرائط . أما الملك ومن يقف أمامه أو خلفه مباشرة فتستقر أقدامهم على الخط العلوي لمجرى الماء . وفي صورة الملك وصورة التابع الواقف خلف الحفتين يتمثل الطراز الذي ساد في تمثيل الأشخاص في الفن المصري ، فقد مثلت العين والكتفان من أمام وباقي أجزاء الجسم من الجانب ، ومثل باقي الأشخاص بكتفين من الجانب ، بحيث يبدوان في أغلب الأحيان كأنهما منطلقان إلى الأمام ، ويرجع هذا إلى طبيعة ما يقوم به كل منهم من عمل أو إلى ما يلتحف به من رداء يعوق الذراعين .

أما رأس دبوس الملك نعرمر (شكل ٥) فيبلغ طوله نحو ١٩ سنتيمتراً وعرضه نحو ١٨ سنتيمتراً ؛ وقد مثل عليه الملك يتدثر بعباءة طويلة وفي ذقنه اللحية وعلى رأسه تاج الوجه البحري ، وهو يجلس في عرش نصب فوق منصة عالية ، تؤدي إليه عدة درجات ؛ ويعلو العرش نسر ناشر جناحيه ، يظل الملك بحمايته ، ومن خلفه الاسم الحوري للملك[١] . وإلى جانب المنصة شخصان يحملان مظلتين أو مروحتين ، لا يكاد يبلغ ارتفاعهما قدمي الملك ، والمألوف أن مكان الرجلين هو على جانبي الملك ، غير أن الفنان اضطر إلى تمثيلهما بجانب المنصة رغبة في إظهار صورة الملك وإبرازها . ومن وراء الملك خمسة رجال في صفين يعلو أحدهما الآخر ، ويحمل ثلاثة منهم عصياً طويلة ، بينما يحمل الرابع قدراً ونعلين ، أما الخامس فيقف خلف الملك مباشرة ... ومن أمام الملك ثلاثة صفوف ، وقد مثل في الصف الأول حملة الألوية ومن أمامهم حظيرة ... ، ومثل في الصف الثاني شخص يجلس ... ومن ... ثلاثة رجال بلحى طويلة يضمون أيديهم على صدورهم ، ومن أمامهم وخلفهم علامات على شكل الأهلة . أما الصف الثالث فيشتمل على بيان عدد الغنائم

(١) الاسم الحوري هو الاسم الذي كان يتخذه الملك عند توليه العرش باعتباره الحر خليفة أوزيريس على الأرض ، الذي ورث عن أبيه حكم الأرض .



(شكل ٥) نقوش رأس دبوس الملك نعرمر

من الثيران والماعز والأسرى ، وفى أقصى اليمين معبد وحظيرة بها ثلاثة حيوانات تعدو ، تؤلف معاً مجموعة رشيقة ؛ وقد اختلف الرأى فى تفسير ما تمثله هذه الصور ، على أنه يبدو أن لها علاقة بما يعرف بـ « عيد السد » ، وهو عيد كان يحتفل به ملوك مصر فى فترات مختلفة وتؤدى فيه طقوس معينة ، كان يعتقد بأنها كفيلة بأن تعيد لهم قوتهم ونشاطهم للملك وقدرتهم على تولى الحكم فترة جديدة . وقد مثل الفنان الملك والشخص الجالس فى المحفة من الجانب تماماً ، وإن كان قد رسم العين وظلة المحفة من أمام . ومثل النسر وكأنه يضم جناحه القريب من الناظر إلى جسده ، ويبسط جناحه الثانى إلى أسفل ؛ وفى هذا التمثيل إحدى الطريقتين اللتين اتبعهما الفن المصرى فى عهد الأسرات فى تمثيل الطيور الطائرة ، وإن كان قد غير فيها بعض الشيء ، بأن جعل الجناح البعيد عن الناظر منشوراً إلى الأمام ، مما أكسب صورة الطائر جمالاً وإن لم يبعد بها عن الصورة الطبيعية .

وقد بذل الفنان فى سائر نقوش هذه الدبابيس عناية واضحة فى تمثيل الأجسام والأشكال ونحت خطوطها الخارجية وتسوية سطوحها ، وحذف كثير من التفاصيل ، كما حاول تشكيل بعض أجزاء الجسم وهو ما يتجلى بوضوح فى ذراعى الملك العقرب . ولا تخفى صعوبة هذا كله على السطوح المقوسة لرءوس الدبابيس ، وما يتطلبه من مهارة تامة وحسن تقدير ، وقد أثبت الفنان المصرى أنه كان أهلاً لذلك بما يستحق عليه المدح والثناء .

ولا يعرف الآن على وجه التحديد الغرض من الدبابيس فى المعابد ، غير أنه يبدو أنها كانت تهدى لها قربة وزلفى وتؤدى بها بعض الطقوس الرمزية ، وبذلك أصبحت من الأدوات التقليدية فى المعابد وخاصة قبيل عهد الأسرات وفى بداية الأسرات . ومما يلفت النظر كبر حجم رءوس بعض الدبابيس بنسبة غير عادية . ولعل ذلك يرجع إلى النقوش الكثيرة التى تحملها ؛ ومهما يكن من أمر فإنه تتجلى فى نقوش هذه الدبابيس الرغبة فى تمثيل المناظر الكبيرة المستفيضة ، وتصوير الأحداث وتنسيق صورها معاً . وقد اتبع الفنان فى ترتيبها وتنظيمها قواعد خاصة التزمها الفن المصرى فيما بعد طوال عصوره التاريخية . فقد قسم المنظر الواحد إلى أجزاء أو مواقف ، إذا جاز هذا التعبير ، مثلها جنباً إلى جنب فى صفوف طويلة منتظمة يلى أحدها الآخر ، أو فى صفوف قصيرة من داخل الصفوف الطويلة . وإذا كان فى ذلك ما يناقض قواعد الرسم المنظور ، فإنه لا يصعب الآن فى كثير من الأحيان فهم ما تمثله هذه الصفوف ، واستكشاف الصلة بين أجزاء المنظر الواحد ، واستبانة العلاقة بين الأشخاص الممثلة . فنقوش رأس دبوس الملك العقرب تدل على أن الملك بعد أن فرغ من قتال أعدائه ، بدأ احتفال النصر باحتفالات خاصة ؛ وصورة الملك بقامته الممتدة فى الصف الثانى جعلته بيت القصيد بين سائر أجزاء المنظر ، كما أن [illegible] الأشخاص الممثلة على رأس دبوس نعرمر إلى الملك [illegible] صورته وربط بين مختلف أجزاء المنظر ووضح معناه . وهكذا استطاع الفنان تمثيل المناظر المركبة وإبراز أجزائها المختلفة بما يصعب على الرسم المنظور تمثيله فى وضوح تام . وإذا كان يخفى علينا الآن معنى بعض المناظر فى جملتها أو فى بعض أجزائها ، فذلك لأننا نجهل تفاصيل الاحتفالات المصرية القديمة ، أما المصريون القدماء فقد كانوا على دراية تامة بها ، ولذلك كانوا أقدر منا على فهم صورهم ومناظرهم .

ومما تتميز به أيضاً نقوش الدبابيس الفاخرة ما تدل عليه من اهتمام بتمثيل البيئة ، وهو ما يتجلى فى مجرى الماء المتعرج ، ونبات البردى ، وشجرة النخيل فى الحقل ، والعبدين الصغيرين ، والقارب فى نقوش دبوس الملك العقرب ؛ وفى الحظيرتين والمعبد فى نقوش دبوس الملك نعرمر . وإذا كان بعض هذا أو كله قد اقتضته الحفلات الممثلة ، إلا أنه لا يخفى ما تحمل ذلك من أهمية فى حد ذاته ،

وخاصة إذا لاحظنا أنه كان يكتفى أيضاً فى صور الدولة القديمة ببعض المبانى والنباتات لتمثيل البيئة. وقد مثل الفنان مجرى الماء من أعلى وغشاه بخطوط متموجة، وهو ما أصبح تقليداً ثابتاً فى الفن المصرى فيما بعد، كما مثل الحظيرة من أعلى أيضاً، بحيث يرى ما بداخلها من حيوانات، غير أنه مثل هذه الحيوانات من الجانب.

وتشير موضوعات هذه النقوش إلى أن تقديم الدبابيس للمعابد قد أصبح يستهدف أغراضاً جديدة، إلا أنها لا تخلو من مغزى أن الفنان لم يقتصر عند حد تمثيل ما له علاقة بالدبوس من مناظر الانتصار[1]، وإنما تعداه إلى تمثيل ما لا يتصل به من قريب أو بعيد، كتمثيل الاحتفال ببعض أعمال الري أو الزراعة على دبوس الملك العقرب. ولعل هذا يرجع إلى تطور موضوعات النقوش مع تقدم الزمن وخاصة إذا علمنا أن جدران المعابد كانت من الغاب أو اللبن وأنها بذلك لم تكن تصلح للنقش عليها، مما دعا الفنان إلى نقش نقوشه على سطوح الأدوات كالصلايات والأمشاط. وبهذا يمكن القول بأن [illegible] رؤوس الدبابيس أتاحت الفرصة للفنان لأن يسجل عليها ما يريد تخليده من صور ومناظر، كما أغرته أيضاً بأن يزيد من حجمها لتتسع سطوحها لما يريد نقشه عليها من مناظر كثيرة، حتى ولو لم تكن لها صلة بالدبابيس نفسها والغرض منها.

وبهذا غدت الدبابيس بحجمها ونقوشها مجرد أدوات رمزية، تسجل عليها أعمال الملوك واحتفالاتهم، إشادة بهم وتبريراً لهم أمام الآلهة، الذين ورثوا عنهم البلاد وملكها، ومسئولية الدفاع عنها، ورعاية مصالحها. علاوة على هذا فقد كان المصريون بتصوير هذه الأعمال إنما يعبرون عن تمنى دوام آثارها ونتائجها، كما كانوا يعتقدون أن فى مجرد تصويرها ما يضمن دوام قهر الملك لأعدائه، وبقاء أعمال السلم على الدوام، وتحقيق مقاصد الطقوس والاحتفالات على مدى الدهر. وهكذا تمثل نقوش الدبابيس ما وقع من أحداث، وما أقيم من طقوس واحتفالات، وتعبر فى نفس الوقت عن أمانى الشعب ودعواته؛ فهى بهذا كله أحداث مصورة، وأمانى مرسومة، ودعوات مخلدة، سجلها الفنان على الحجر تمجيداً من شأن ملوكه، وتخليداً لذكراهم، وابتغاء استدامة آثار ما قاموا به من أعمال، وما احتفلوا به من طقوس.

محمد أنور شكرى

(١) لا يبعد أن يكون الفنان، وهو لم ينس أن الدبابيس كانت من أدوات القتال، قد اقتصر فى بداية الأمر على تمثيل مناظر القتال وانتصار الملك على أعدائه على رؤوس بعض الدبابيس وقد يكشف يوماً ما عن بعض الرؤوس وعليها مثل هذه المناظر الصريحة ذات العلاقة الوثيقة بالدبوس نفسه كأداة قتال.



من روائع الأدب

للأديب جلال أمين

• إن أسعد الناس هم أولئك الذين كالأطفال يشعرون من اللذة ، ويغفلون عن المستقبل ولا يفكرون إلا في الحاضر .

(جيته)

• احرص على أن تهذب عقلك [illegible] جيداً فتصل إلى ذروة ترى فيها [illegible] يحتم أن يرجى الخير إلى جارك [illegible] الوقت الذي يرجى فيه لنفسك أولاً . ([illegible])

• حاربوهم بالسلاح الذي يخافونه لا بالسلاح الذي تخافونه أنتم ، وتيقنوا لهم أن سلاحهم لا يجديكم فتلقوا ذلك السلاح من أيديهم .

(غاندي)

• الفلاسفة والحياة :

وما يفرح له المرء بل وما يسخر منه ، أننا كالأطفال نفكك الساعة أجزاء فخورين راضين عن أنفسنا ثم نستخرج الزنبرك ونجعل من الساعة ألعوبة ، وندهش بعد ذلك لأن الساعة لا تسير .

(تولستوي)

• من البلاهة أن يتعجل الإنسان متاعب الحياة أو يطيل أمدها ، ولهذا فأنا أفضل أن [illegible] على أن أشيخ قبل الأوان .

(مونتيني)

• إن التفكير سهل ، لكن العمل صعب ، والعمل وفقاً للتفكير هو أصعب ما في العالم .

(جيته)

• إن الإنسان لا يستطيع القضاء على ما في العالم من قسوة ولكنه يتمكن من أن يمحي بعض الآلام من القسوة [illegible] من حكمه .

(فولتير)

• ليس في الحياة أعذب من [illegible] والسلام ، والمكافأة [illegible]

(ديكارت)

• [illegible] أمور هذه الدنيا يمكن أن ينظر تقلباً دائماً [illegible] أي تغير مهما عظم لا يحدد المستقبل البعيد . وأية سلطة مهما أحكم وضعها لن تستقر بها العلاقات بين الدول لزمن طويل ، وإن أي ثورة مهما اشتدت لا تبيح السعادة الأبدية للشعب أو الجماعة . إياكم أن تتسللوا إلى الأماني فتخطئوا . تظنون أن رجلاً بعينه أو جيلاً من الناس متى فرغوا من أداء ما فرض عليهم أصبح لهم الحق في التكاسل والنعيم المقيم ، إن مرحلة الحياة لا تنتهي إلا في الساعة التي يغشانا فيها ظلام الليل .

(أندريه موروا)

• إن فهم كل شيء يؤدي إلى العفو عن كل شيء .

(مدام دي ستايل)

• إنك إن فقدت من تحب فلن تفقده دفعة واحدة ، إنما يحيا فيك ردحاً من الزمن . كالعين إذا أطالت النظر إلى الشمس وهي تغرب بقيت فيها أشعتها بعد أفولها وذهابها

نورها ، لأنها لا تزال متلألئة في نفسك مشرقة في حسك ، وهيهات أن تدرك النقصان التام والحرمان المطلق إلا إذا أدركت شعورك التصور وحدة الشعور ؛ فتستطيع حينئذ أن تقول : لقد مات فيّ !

ذلك لأن الموت لا يتم بالنقصان ؛ وإنما يتم بالنسيان .

(لامارتين)

■ أعمري ما هذه الزروع والعيون والغابات والسماوات والبحيرات والسهول إلا عارية مستردة ، يعيرنا الله إياها لحظة من الزمن لنضع فيها قلوبنا وأحلامنا وغرامنا ثم يستردها .

(من مقطوعة شعرية لفكتور هوجو)

■ يقول الحكيم الوثني : « هذا رأي الحكمة : لا تجزع لشيء » وذلك هو عين رأيي (كلبو) ولكنه يجزع ؛ ويقول المسيح : « لا يدخل قلبك القلق ولا الخوف » وعلى ذلك كان (كلبو) يوالي من صميم الفؤاد ولكن القلق كان في قلبه [illegible] مواجهة ذينك الفكرين العظيمين [illegible] الإنسان الإنسان أن يجلاه على [illegible] !

(توماس هاردي)

■ إنا لا نسير ، لا نتقدم ولا نتأخر ، لا نرتفع ولا ننخفض ، إنما نحن ندور ، كل شيء يدور وعلى ما هو في الأبدية . يالها من خدعة ! تسألني الطبيعة عن سرها فتجيبنا « بالف » والدوران !

(توفيق الحكيم)

■ لأن يصبح الرجل مالكاً أو سائلاً ، فستكون له دائماً تلك العينان السوداوان أو الرماديتان ، وذلك الفم الحلو أو الفضاح ، وتلك اليد نفسها ، فبين هذا الإصرار من الطبيعة في كل منا وبين هذه المصادفات المختلفة في غيرها تناسب ، يمر تاريخنا كأنه صفحة بين أسطوانتي مطبعة تلقى الحروف في كل لحظة من الجانبين !

(آلان)

■ الهبة والموت :

هل تعلم آخر جملة نطق بها الأب بوهور النحوي « أنا مشرف على الموت ، أو إني سأموت ، كلا القولين صحيح ! » .

ومات ريشليو ميتة وزير إذ قال : « أتسامحون عن أعدائكم ؟ لم يكن لي أعداء غير أعداء الدولة ! » .. ومات كورو ميتة مصور فقال : « أرجو من كل قلبي أن يكون في الإمكان التصوير في السماء ! » .

ومات شوبان ميتة موسيقار فقال : « اعزفوا ألحان موزار في ذكراي » .

ومات نابليون ميتة رئيس دولة إذ كانت كلماته الأخيرة :

« فرنسا .. الجيش .. رأس الجيش ! »

■ إن الثروة والنجاح والمجد بل السلطة ، قد تزيد من السعادة ، لكنها لا تستطيع خلقها (دوزاتيل)

■ [illegible] ، وكل شيء نسبي ، وكل شيء يصلح ، وإن أعمق سر الطبيعة أن يخلقه شيئاً من لا شيء ، لو درى كل الناس ما يقوله كل الناس عن كل الناس ما خاطب أحد أحداً ..

جميل أمين



من بريد الثقافة

سيدي الأستاذ أحمد أمين بك المحترم :

سلاماً واحتراماً :

وبعد : فإن الأدب العربي والأمة العربية لمدينان لمصر بما أخذته من نشر الكتب الأدبية نشراً علمياً يساعد الباحث على استقاء المصادر الأدبية والتاريخية من منبعها استقاء صحيحاً يعينه على تكوين فكرة صحيحة للأدب العربي وللأمة العربية .

وإن المؤرخ الذي يعتمد على الكتب الأدبية كما يعتمد على كتب التاريخ سوف يسجل لكم هذه المنة ويعدها مساهمة منكم لبحث التاريخ العربي بحثاً صحيحاً نزيهاً يؤدي واجبه المطلوب منه .

وحيث إن كتاب العقد الفريد عراقي وإن كان مؤلفه مغربياً ، كما يقول الصاحب بن عباد ، لوجود كثير من المادة العراقية ترد إلى أهلها كاملة غير منقوصة أو مشوهة ، ورأيت أنكم أخذتم على عاتقكم تقديم هذه البضاعة إلى الأمة العربية عامة ، وإلى الأدب والتاريخ العراقي بصورة خاصة ، فقد تتبعت طبعتكم هذه التي طال شوقي إلى قراءتها ، ورأيت في الجزء الخامس بعض هفوات تاريخية أود لو تتكرمون بإصلاحها فتكونون بذلك كما آمل من وصول بضاعتنا إلينا .

أولا : في ص ١٨ حول ابن نهية التي ذكره الحجاج : فإن الحجاج لم يقصد رجلا كان على الشرطة كما يتبادر إلى الذهن من مفهوم العبارة هنا وفي الكامل للمبرد ، وإنما المقصود مصعب بن الزبير .

فقد ذكر ابن أبي الحديد (ج ٤ ص ٤٩٢) ما يأتي نقلا عن ابن ماكولا في كتاب الإكمال حول خطبة هذه أن الحجاج يعني مصعب بن الزبير وعبد الله أخاه ؛ وهي نهية بنت سعيد بن سهم بن هصيص ، وهي أم ولد أسد بن عبد العزى ابن قصي ، ثم يقول : وهذا من المواضع الغامضة .

ثانيا : حول يوم الكلاب الثاني في ص ٢٢٥ منه ، ذكرتم أن ذا العيينين من أهل مدينة هجر ، وأن الذين أتوا بجيشهم عليهم من الحارثيين ؛ وإني وإن لم أفتش عن هذا الموضوع في كتاب آخر أثناء كتابة المكتوب ، إلا أنه يتبادر إلى ذهني أن المقصود من هجر هذه غير هجر البحرين ، وأنها هجر نجران ، فرجائي إليكم أن تتبعوا هذا وتشيروا إلى ذلك .

ثالثا : أود لو تشيرون إلى موقع عين أباغ المذكورة في ص ٢٦٠ كما بين ذلك الأستاذ موسيل في كتبه ، لأن في ذلك تشجيعاً للمتأدب العربي لمعرفة تاريخه الأدبي . كما أن ذا قار تقع في لواء الناصرية من جهة البادية في العراق ، وتسمى الآن « أبو غار » .

رابعاً : إني أرى ما ذكر في ص ٢٦٨ من أن شعر لقيط الإيادي كان لبني شيبان لم يكن صواباً ، وإني أرى القطعة هذه منتحلة لا ترتبط بوقعة ذي قار ، لأن القصيدة واضح فيها أنها كانت موجهة إلى قومه إياد ، وقد [illegible] في كتاب حروب المتنبي الذي [illegible] العربية الكبير .

(بغداد) عبد الرزاق الحسني



يحكى أن

الوزير ..!

« هذه القصة لا تمس أحداً ، وهي قصة خيالية ، لأني لا أعلم الغيب ، ولا أعلم ما تحدثت به النفوس »

الأستاذ عبد الجبار الخليلي

كان يذرع غرفته ذهاباً وإياباً ، وقد شبك يديه خلف ظهره وأحنى رأسه قليلاً وأخذ منه التفكير الذي اختمر في حل مشكلة من مشاكل الفكر ...

ولم يكن يشغله شيء من مشاغل الوظيفة أو أزمة من أزمات السياسة ، لم تكن هذه أو تلك [illegible] في رأسه خواطر وأفكار جليلة خطيرة ..

كان يعرف أنه وزير ، وكان يعرف أن منصبه هذا ليس بالمنصب التافه الصغير .. بل كان على يقين من أن الوزارة لها مكانتها ورفعتها ، ولا بد لمن يشغلها أن يكون رقيباً خطيراً .. ولذلك فإنه منذ تسلم زمام الوزارة ، عمل بإخلاص وجهد لأن يكون كوظيفته جليلاً مهماً .. فكانت له مكتبة جميلة مليئة بالكتب الضخمة المتنوعة العلوم ، من كتب الأدب والفلسفة والسياسة والرياضة والفلك قديمها وحديثها .. وقد بذل الجهد والمال في تكوينها وترتيبها .. ولكن شيئاً واحداً ظل يحرجه ويخجله وفيه كان يفكر ويسائل نفسه : كيف يتدبر أمره ، وكيف يتخلص من هذا الحرج ويبرئ من نفسه هذا الجبن .. أما هذا الشيء الذي ظل يحرج الوزير ويخجله هو قراءة هذه الكتب التي جمعها . فقد حدث قبل بضعة أيام أن سأله صديق له مباشراً ، عما إذا كانت هذه الكتب للزينة أم للقراءة ؟ .. ومنذ ذلك اليوم وهو يحاول أن يجد حلاً لنفسه ولهذه الكتب وطريقاً يتخلص به ألسنة أصدقائه الساحرة ... وها هو ذا يروح ويجيء ويقول لنفسه :

« هل من المستحيل أن أقرأ كل هذه الكتب ، بل عشرة منها .. ومن أين آتي بالوقت ، أين هو الفراغ ، والحفلات ... ثم إني لا أحس لذة المطالعة ، ولا أحب الكتب ، وأمقت مؤلفيها منذ طفولتي ، فكيف أطالع الآن وقد غصت الحياة مليئة بالمشاغل التي لا تترك لي دقيقة واحدة أخلو فيها لنفسي ؟! ... ولماذا أقرأ هذه الكتب ؟ ... أليس من السخافة أن أضيع الساعات من أيامي الجميلة في تصديع رأسي بتخريف هؤلاء المؤلفين ؟! .

ولكن كيف أسكت هذه الألسن الساحرة ؟ كيف أفهمهم بأني قدير على إدارة هذه الوزارة من غير حاجة إلى قراءة هذه الكتب ؟! .. هل عجزت حقاً عن إيجاد حل لهذه المشكلة ، وهل استنفدت جميع الطرق ؟ ألا يوجد طريق آخر غير القراءة ؟! ... »

وتوقف عن السير وأشعل سيجارة ، ثم جلس على كرسيه الوثير وهو ينفث الدخان في خيوط رفيعة ، أخذت تتلوى أمامه كالأفاعي وهو يرقبها في هدوء ... وبينما هو على هذه الحال إذا به يلمح من خلال النافذة [illegible] ، وهو يتمشى في حديقة داره ، فقفز من محله على عجل ، وتقدم إلى النافذة بكل حذر وفتح أبوابها جميعاً وأسرع

كالقط إلى الصفحة ، وأمسك القلم وتظاهر بالكتابة :

« لا شك أن جاري سيراني وأنا منهمك بين هذه الأوراق ، ولا شك أنه سيفكر في هذه الهمة وهذا الجهد الذي أبذله في سبيل الخدمة العامة .. ولا أظن إلا أنه سيتحدث أمام أصدقائه ويحدثهم عن الساعات الطوال التي أقضيها بالعرق والطاقة ومتابعة أعمال الوزارة في داري ... »

وأخذ يختلس النظر إلى جاره بين الفينة والفينة ، وهو يدعو الله أن يلفته إليه ...

« يا جاري العزيز .. انظر إلي .. انظر إلى تألقي ، دع تلك الزهرة التافهة وتعال إلى هنا .. إلى جانب النافذة ... ألا ترى ؟ انظر التشجيع الرائع .. انظر إلي .. أدر رأسك أكثر .. تماماً ، هذه هي الأزهار الحلوة .. لا .. لا تفعل بالله ، لا تدر رأسك ، ليس هناك شيء يدعوك إليه ... تباً لك من غبي ثقيل الذوق » .

ولمعت في ذهن الوزير فكرة ، فحمل الدواة بيده ولطمها بالأرض ، فتحطمت وأحدثت صوتاً مسموعاً ، ولكن جاره لم يسمع الصوت ، ومضى ... الحديقة ودخل الدار ...

« أتكون ثلاث زهرات وتتعب ... يا أعمى يا أصم ! تباً لي من غبي يجاور مثل هذا السخيف » .

ونهض من مقعده مغيظاً ساخطاً على جاره .. وفكر في أن ينتقم منه ، ولكنه أبعد هذه الفكرة عن مخيلته حين لاح له أنه ليس من الشخص مثله أن ينحط إلى مثل هذه الترهات ، فيفكر في الانتقام من العوض ...

« ثم ماذا كان يفيدني مثل هذا السخيف لو رآني ؟ صحيح أنه سيتحدث أمام زملائه ، ولكن ما فائدة كلام عدد من الأفراد عني ؟ إنني يجب أن أفكر في طريق أبرع ، يجب أن أجد حلاً أحسن ، يجب أن أدع الناس جميعاً يمدحونني ويتحدثون عني ، لا بضعة أفراد ... »

وسار من جديد يقطع الغرفة جيئة وذهوباً وهو يردد في نفسه :

« كيف أصل إلى غايتي هذه ؟ .. أعجز هذا المخ من التفكير في مثل هذه المسائل ؟ .. أين إذاً تلك الذكاء وقدرتي ؟ .. أنا الوزير ، أعجز عن إيجاد حل لمثل هذه الورطة ؟! .. »

وظل يعصر فكره ، ويقلب ما في رأسه من طاقة .. من غير جدوى ، حتى كلت قدماه من السير ، وتعب رأسه من التفكير ، ويئس رغمه من التخمين .. فتهالك على مقعده ، وقد تملكه اليأس وساوره القلق على ما كان يظن لنفسه من ذكاء ، وقدرة على فض المشاكل وحل الألغاز ، وراح في مقعده ، ومط رقبته وحاول أن يترك التفكير إلى وقت آخر ، فتناول صحيفة من جانبه وأخذ يتصفحها ، ولكنه أعادها إلى محلها ، ولم يكن قد قرأ منها شيئاً :

« ما أبغض القراءة إلى نفسي ! وما أسخف هذه الصحف التي يقرؤها الناس ..

— التي يقرؤها الناس ؟! .

— الناس يقرأون الصحف .. يقرأون الصحف ؟! » .

وقفز الوزير من مقعده وصاح بصوت مسموع :

« لقد وجدتها ! لقد وجدت الطريقة الصحيحة .. أنا ... الوزير .. سترا أيها الساخرون ! ... سوف ... الذي سيفوز على الآخر ... » .

وابتسم الوزير وطلع وجهه بالبشر .. لقد وجد الأداة أو (الفرصة) التي توصله إلى حيث يريد ... وراح كعادته حين يفكر يقطع الغرفة ذهاباً وإياباً .

« وجدت الطريق ، وهذا مخرج بأسي .. ولكن دعني أفكر بمهارة .. دعني أفكر كوزير كيف سأسلكه وما الذي سأعمله ؟ أظن أن الأمر قد سهل ... سأدعو الصحفيين إلى حفلة عشاء أقيمها لهم بداري ، حيث سأملأ بطونهم بكل ما لذ وطاب .. وسأحدثهم عن مكتبي وكتبي و .. لا ، هذه سخافة تافهة كالتي وقعت فيها أول مرة حين سخر مني ذلك الصديق الكئيب ..

— إذاً سأحدثهم عن نية الحكومة في إنصاف أعلام الفكر ومساعدة الناشئين والمكافآت التي ستمنحها لهم و ...

— ومن الذي سيقرأ مثل هذه البيانات ويهتم بها ؟ .. أسيقرؤها الناس جميعاً ؟ .. لا ، لا .. سيهتم بها أولئك الذين سيحظون بالمكافآت والمساعدات المزعومة وحدهم دون بقية الناس ... ثم ما الذي سيصيبني من رفعة الشأن ؟ ومن

الذي سيمتدحني .. بل إن حصل شيء من هذا وامتدح هؤلاء أحداً ، فإنهم سيمتدحون الحكومة ... وهذا ما لا أقصد .. وسوف لا يتحدث أحد عن مبلغ اهتمامي بالكتب والمؤلفين ومتابعتي لتيارات الفكر في العالم .. لا ، لا . يجب أن أسير سيرة أخرى غير هذه .. يجب أن تكون بين هؤلاء الناس جميعاً . يجب أن أبحث عن شيء آخر تتوفر فيه صفات ثلاث : أن يحول الأنظار إليّ ، ويثير ضجة كبيرة ، ويتحدث الناس به جميعاً .. هذا ما أريد .. فما هو ؟.. ماهو ؟.. النفط ؟.. الكهرباء ؟.. تبليط الطرق .. مشاريع الري .. فلسطين ؟.

— فلسطين ؟!.

— أجل والله .. لن أجد خيراً منها .. لقد نجحت مرة ثانية في اختيار الموضوع !.

وانفتحت مغاليق فكره ، وأنارت للوزير طريقه ، ولاح له هدفه واضحاً جلياً ، فجلس على مقعده بهدوء ، وأغمض جفنيه نصف إغماضة ، وراح يرسم لنفسه خطوط الطريق ، ويصور لها ما سيجري من قبل بكل دقة ، فقال لها :

« تبدأ المسرحية حين يرفع الستار عن جماعة من الصحفيين يقودهم خادمي (محسن) إلى غرفة الانتظار ليتركهم هناك ينتظرون إلى ما شئت لهم من الوقت — ولكن نصف ساعة — وسيقدم لهم الشاي فيها ..

— كلا ، كلا .. لأدعهم بلا شراب ولا طعام في هذه الفترة حتى يتجرعوا كأس الصبر بتمامها ، ولكن تقديم الشاي أو القهوة عند مقابلتي لهم ، فهذا تصرف رشيد سيتيح لي فرصة أطول للتحدث معهم ... وعند انتهاء الفترة سأخرج أنا من مكتبي — بعد أن أنفش شعري وأخلع سترتي وأنزع رباط رقبتي — لابساً نظارتي الشخصية وبيدي قلمي — أنادي خادمي (محسن) بصوت مرتفع لاعناً إياه معنفاً له ...

— كلا ، كلا .. أنا وزير ، وهذا لا يليق بي .. سأناديه بلا لين ولا عنف .. سأناديه وأسأله عن مكان الدواة وأوبخه لهذا الإهمال الذي سأقول عنه إنه يكلفني كثيراً من الوقت في البحث عن الحبر .. وسأحدث ضجة كبيرة سيسمعها الصحفيون بآذانهم من أولها إلى آخرها .. إلى حين ألتقي بهم ، بحيث سأتظاهر بالدهشة لوجودهم .. وسأعتذر لهم وأوبخ (محسن) لما فعل بهم ، وسيكون الحوار بيني وبين خادمي هكذا :

— لماذا لم تخبرني بقدومهم ؟.

— (بيك) ألم توصيني بألا أناديك حين تجلس في مكتبتك تؤلف كتابك الجديد ؟!.

— لقد أخبرتك بهذا حقاً ، ولكني ما كنت أقصد أن تتمهل في إخباري بالأمور الهامة ؟!.

وسألتفت إلى الصحفيين معتذراً من جديد عما أحدث لهم خادمي من إزعاج وسأقول :

— لم أر مثل هذا الخادم الغبي طول عمري .. وخيل إليّ أن النار لو احترقت لما نادى عليّ !.

وسأضحك بعد هذا الحوار ... وسيضحك الصحفيون معي كما أضحك !.

ولاشك أنهم سيسألونني عن هذا الكتاب الذي أؤلفه ، فلابد لي من أن أخترع عنواناً لهذا الكتاب الموهوم .. وليكن اسمه « رسالة الفلسفة الحديثة » !!

وسأصحبهم إلى مكتبتي حيث يتناولون هناك الشاي والكعك ويتفرجون على كتبي الضخمة الكثيرة ، وحيث سأحدثهم حديثاً عن فلسطين ...

— ولكن ماذا ؟ سأصرح ؟ ماذا سأقول ؟

— ولماذا أفكر الآن بهذا التصريح ؟ ... سأقول ما يتبادر إلى ذهني حين الحديث ، ولكن — إنه لم يستحق التفكير — استمراراً لماضيّ » .

وتنفس الوزير الصعداء .. وارتسمت على شفتيه بسمة ساخرة ، وعادت إلى نفسه الطمأنينة والثقة بذكائه وقدرته . سيفوز .. سيفوز حتماً على خصومه .. وما عليه الآن إلا أن ينتقل من دور التخطيط إلى دور العمل ...

ومد يده إلى التليفون .. وألقى إلى سكرتيره الأوامر .. ونادى على خادمه ليلقنه دوره ...

* * *

وبعد يومين ، ظهرت الصحف وقد نشرت في صفحاتها الأولى ، وفي مكان بارز وبخط عريض تصريح الوزير ووصف لمكتبته وحديث طويل عن كتاب « رسالة الفلسفة الحديثة » !!

(بغداد) عبد الجبار القيسي

حياة مقفرة

جمالٌ وما لي من سناه نصيبُ
وزهرٌ ولكن قد علاه شحوبُ

ودنيا من الأنغام يطربُ لحنها
ولكنها في مسمعيَّ .. نحيب

وروضٌ كمثل الظلّ حسناً وبهجة
ولكنه في ناظريَّ كئيب

وكيف يطيبُ العيشُ والعودُ ذابلٌ
ذوى في ربيع العمر وهو رطيب ؟

* * *

أيا قارئ السِّفر الذي طال حفظه
لسكلي ، وكلّ صفحة منه لها
ترى : أبابك السِّفرُ أيّها الذي
شقيّ ، وما لي في الحياة رجاء

أنا الدنف المحروق دوّنتُ شقوتي
بكأسي ! ونعم الكأسُ والنُّزحاء

تساميتُ ... حتى في شقائي ، وإنما
عزائيَ أني — لو علمتَ — غريبُ .

* * *

أأحبابنا ما أظلمَ العيشَ بعدكم
وقد كنتم لحناً شجياً مغرّدا

وكنتم على ثغر الحياة وجدتها
ابتسامة وفي أساه نوراً ومروءا

فها أنا ذا نِضْوٌ غضٌّ بالحزن مُلهمي
وقد كان فيّاض للشاعر مُسعدا

وأعجبُ ما ألقـاه أن مزاركم
يعز عليه السعي وهو قريبُ !

* * *

وددتُ لو أني عشتُ في ظل ربوةٍ
مع الطير والأزهار والجدول الصافي

أجولُ — كما أختار — بين ربوعها
وأغفو إذا ما عدت — في روضها الضافي

وأرعى النجومَ الساهرات بسمائها
وأشدو مع الأطيار لحن الهوى الشافي

وددت لو أني عشت حراً بجانبي
حبيبي ، ولكن هل هناك حبيب ؟!

* * *

أشاطرك ما نالني من الشوم جمةٌ
وأهونها أن الحياة ... حطامٌ !

وأوسع ما نالوا لنا بيت سلطة
وحيداً بقدري ، والعيونُ نيامُ

أنا في رجاء في خيالي مبدداً
وأشدُّ صفواً كالسراب يرامُ

وأشدو بحرماني ، وأنهو لأمري
وأرضى بقدري ، والقضاء رحيب

* * *

تعلمتُ بأحلى ، فأثقلتُ كاهلي
وإن كان — رغم الحادثات — قلبا

وقيدتُ آمالي وكانت طليقة
وكنتُ بها غضَّ الإهاب نديّا

ألا أيهـا الباكي المُدلّ بنعيه
رويدك ! قد أصبحتُ عنك غنيا

فلو زهر الصحراء إن جادها الحيا
فإني سأمضي ، والفؤاد جديبُ .

علي بيومي

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر